التكثير في العربية

د. محمد إسماعيل عبد الله
كلية التربية للعلوم الإنسانية. قسم اللغة العربية

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين الذي تداركنا بالإسلام ورحمنا بلغة الضاد وعرفنا بعض مكنونها بما عرفناه من الطبع والتطبّع وبما درسناه وفهمناه، فله الحمد في الأولى وله الحمد في الثانية وهو العلي العظيم. والصلوات المتتابعات على خير الأنام محمدٍ صلوات الله تخصّه وتشمل آله الأطهار وصحبه الأخيار. وبعد

فإن اللغة العربية لغة لها معنى وخصوصية في أصواتها ومفرداتها وجملها ومعانيها. وإذ تلحظ ذلك تتأكد من أنّها لغة حيّة وقوية. حيّة بما تملكه من هذا الكم الهائل من المفردات والمعاني المتصفة به أو التي ستتصف به بعد التأليف في الجمل والانسياق في السياق. ومن هذه المعنى التي أحببتُ أن أدرسها معنى التكثير في اللغة دراسة نحوية. فإنَّ التكثير في اللغة باب واسع كبير لا يكفي هذا البحث الصغير لاحتوائه وتقنينه فيه.

إنَّ التكثير إذ يحصل فإنّما يحصل أغلبه في المفردات، فالموضوع صرفي بحت إلا أنّ بعض أنواع التكثير تكون متصلة بالجانب الصوتي وبعضها لا يحصل إلا عند تركب المفردات في الجمل، وبعضها لا يفهم إلا من السياق. فالموضوع وإن كانت مسحته صرفية إلا أنّه متحصل بكل المستويات اللغوية الأخرى.

جاء هذا البحث على مقدمة وتمهيد، وأربعة عشر موضعاً لمواضع التكثير في العربية، وبعض هذه المواضع قد تقسّمت على أقسام فرعية. هذا وقد خرج البحث بنتائج ذكرتها في خاتمة البحث. وتنوعت مصادر البحث بين المصادر اللغوية والنحوية والصرفية والتفسيرية إلى غير ذلك من مصادر ذكرت في قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: معنى التكثير لغة واصطلاحاً

قال الخليل: ((كثر الشيء كثرة فهو كثير... وكُثْرُ الشيء: أَكْثَرُهُ، وقله: أقله. ورجل مُكْثِرٌ: كثيرُ المال. ورجل مكثور عليه، أي: كَثُر من يطلب إليه معروفه. ورجل مِكثارٌ، وامرأة مِكثارٌ، وهما الكثيرا الكلام. وأكثرتُ الشيء، وكَثّرته: جعلته كثيراً. والكَوْثَرُ: نهر في الجنة يتشعب منه أكثرُ أنهار الجنة... ويقال: بل الكوثر: الخير الكثير)) [(١)]، وقال في موضع: ((والعِدَّة جَماعةٌ قلَّت أو كَثُرَتْ. والعَدُّ مصدر كالعدَد والعَديدُ: الكَثرة، ويُقال: ما أكثَر عَديدَهُ))[(٢)]، وفي التهذيب: ((الكثرة نماء العدد)) [(٣)]، من ذلك يتبين لنا أنّ معنى التكثير هو العدد الكثير، أو هو التعديد، أو ما يكون فوق القليل. فإن كان القليل بالمفرد مثلاً كان الكثير بالمثنى والجمع، وإن كان القليل بالمعرفة التي تكون محدّدة، كان الكثير بالنكرة والأشياء الدالة على الشمول والعموم وهكذا. وقال أبو منصور الأزهري: ((وأرى قول الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ **إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ**

(١) العين : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت : ١٧٠ هـ) ، تح : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال : ٥ / ٣٤٨ .

(٢) العين : ١ / ٧٩ .

(٣) تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن ، أبو منصور الأزهري الهروي (ت : ٣٧٠ هـ) ، تح : محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط / ١ ، ٢٠٠١ : ١٠ / ١٠٢ .

﴿لَهُمْ﴾ [1] من باب التكثير والتضعيف لا من باب حصر العدد)) [2]، فالتكثير يكون بالعدد الكثير الذي يصعب عدّه وفهمه على الدقّة، وهو من باب التضعيف ؛ لأن التضعيف لا يعرف إلى أين يصل به العدد.

ولعل الزيادة في الكلمة، أو البنية أو النصّ عموماً لها فوائد أولها التكثير في الدلالة وقد وضع العلماء قائدة مفادها: ((أن الزيادة في اللفظ إنما تكون على حسب الزيادة في المعنى)) [3]، وقال المرادي: ((الحروف الزائدة تفيد فضل تأكيد وبيان، للكثرة، بسبب تكثير اللفظ بها. وقوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى)) [4]، وقال السيوطي: ((مَسْأَلَة الزَّائِد إِمَّا لِمَعْنى أَو إِمْكَان أَو بَيَان حَرَكَة أَو مد أَو عوض أَو تَكْثِير أَو إِلْحَاق وَهُوَ بِمَا جعل بِهِ ثلاثي أَو رباعي موازناً لما فَوْقه مُسَاوِياً لَهُ فِي حكمه والعدل عن الألف واللام، فإن أردت سحرًا من الأسحار صرفته وإن ذكرته بالألف واللام أيضًا صرفته)) [5]، وقد مدح العلماء التكثير من ذلك ما قاله أبو هلال العسكري: ((فأما إذا كان في زيادة الألفاظ وتكثيرها، وترديدها وتكريرها، زيادة فائدة فذلك محمود، وهو من باب التذييل)) [6] الذي يذكر فيه اللفظ ثم يعاد لغاية التكثير في الجملة.

ولم أجد تعريفاً اصطلاحياً للتكثير بمعنى أنّ هذا المصطلح ليس من الاصطلاحات العلمية التي يراد بها وضع معاني كثيرة تحت مسمىً واحدٍ، وإنّما هو معنىً من المعاني التي علّلوا بها حالة لغوية معيّنة وهي التضعيف. وما رآه العلماء من زيادات معيّنة ليس لها معنى يمكن توجيه الزيادة عليه.

المبحث الأول: أدوات التكثير

أولاً: الحروف

١. ألف التكثير

تعدّ الألف من أشهر حروف الزيادة، وهي في المعنى الذي تزاد فيه في أكثر أحوالها لتكثير الصيغة الجديدة وابعادها عن الصيغة القديمة. وقد تزاد للتكثير في نهاية الكلمات السداسية قال أبو البقاء العكبري: ((وحروف الزيادة تزاد لسبعة أشياء وهي في المعنى مثل: ألف ضارب، وميم مكرم، والإلحاق مثل: الباء في جلبب، والمد في الألف والياء والواو في كتاب وقضيب ورسول، والتعويض وذلك في التكسير والتصغير، نحو: سفارج وسفيرج، والتكثير مثل ألف قبعثرى، والتوصل وهي همزة الوصل ؛ لأنها توصل بها إلى النطق بالساكن، والبيان مثل: هاء السكت في كتابيه وحسابيه)) [7]، والمعنى أنّ الألف التي في (قبعثرى) [8] هي ألف زائدة جيء بها لتكثير الصيغة. وقد سماها هنا أبو البقاء العكبري بـ(ألف التكثير) لهذا المعنى. وقال في موضع آخر: ((اعْلَم أَنَّ الألفَ لَا تكونُ أصلاً فِي الأفعالِ والأسماءِ المعْرَبة وإنَّما تكونُ إمَّا بَدَلاً وإمَّا زَائِدَة فَكونُها بَدَلا يُذكَر فِي بَابه

(١) التوبة : من الآية : ٨٠ .

(٢) تهذيب اللغة : ٢ / ٧٠ .

(٣) نتائج الفكر في النَّحو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ، أبو القاسم السهيلي (ت : ٥٨١ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٢ : ٧١ .

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني : حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ أبو محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (ت : ٧٤٩ هـ) ، تح : د. فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٢ : ٢٢ .

(٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ، تح : عبد الحميد هنداوي ، المكتبة التوفيقية ، مصر د / ت : ٣ / ٤٥٨ .

(٦) كتاب الصناعتين : الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ، أبو هلال العسكري (ت : نحو ٣٩٥ هـ) ، تح : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت : ٣٢ .

(٧) اللباب في علل البناء والإعراب : عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، أبو البقاء العكبري (ت : ٦١٦ هـ) ، تح : د. عبد الإله النبهان ، دار الفكر ، دمشق ، ط/ ١ ، ١٩٩٥ : ٢ / ٢٢٥ ، وينظر : الممتع في التصريف : علي بن مؤمن بن محمد ، أبو الحسن الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ) ، مكتبة لبنان ، ط / ١ ، ١٩٩٦ : ١ / ١٤٠ .

(٨) القبعثرى : الجمل الضخم العظيم .

وأمَّا كونُها زَائِدَة فَلَا تقعُ أوّلاً بحالٍ لأنَّها ساكنةٌ والابتداءُ بالسَّاكن مُحال بل تقَع ثَانِيَة كالألفِ فِي فَاعل مثل ضارِب وكابِر وثالثةٌ كألفِ التكسير نَحْو دَراهِم ودَنانير وكألفِ المدِّ المحْضِ مثل كتاب وحِسَاب ورابعةٌ نَحْو شِمْلال وحِمْلاق وخامسةً نَحْو حَبَرْكى وسادسةً للتكثير نَحْو قَبَعْثَرى وضَبَغْطرى [١] وَلم يجئْ على غيرِ هَذَا)) [٢]، فمجيئها سادسة لتكثير بنية الكلمة ولهذا قال الرضي: ((وفي قبعثرى سادسة لتكثير البنية فقط)) [٣] دليلاً على ذلك.

ومثل هذه الألف التي تأتي زائدة لتكثير بنية الكلمة ألف (هذا) قال: ((وقال الكوفيون: أصل هذا الذال وحدها، والألف عماد وتكثير، لأن الاسم لا ينفصل على حرف واحد)) [٤] وقد اشتهرت هذه الزيادة التي للتكثير عن الكوفيين قال الأنباري: ((ذهب الكوفيون إلى أن الاسم في (ذا)، و(الذي) الذال وحدها، وما زيد عليها تكثير لهما)) [٥]، فتدخل عنده الألف والياء في حروف الزيادة الموجبة للتكثير. ولعل عذرهم في تحقيق هذه الزيادة لكي لا يبقى الضمير مفرداً على حرف واحدٍ فقالوا: ((وأن ما زيد عليهما تكثير لهما كراهية أن يبقى كلّ واحد منهما على حرف واحد)) [٦]، مما يعني صعوبة النطق به مفرداً أو لتحميل اللفظ تكثيراً يخرجه عن حدّ الحرف.

ومن مواضع ألف التكثير ما زيد على وزن فُعلى قال أبو البقاء العكبري: ((ألفُ بُهْمى للتأنيث وَالْألف فِي بُهْماة زَائِدَة للتكثيرِ)) [٧]، لأنّه لا يشبه ألف (بُهْمى) فلا شبيه له سوى أنّه زيادة في تكثير الكلمة ليخرجها إلى صيغةٍ أخرى. ولعلّ لهذه الألف حكم قال المرادي في تنبيه ذكره: ((حكم ألف التكثير كحكم ألف الإلحاق في أنها تمنع من العلمية))[٨] كنتيجة للاسم الذي تقع فيه هذه الألف. ولهذا قال الصبان شارحاً ((قوله: (حكم ألف التكثير) أي: التي أتى بها لأجل تكثير حروف الكلمة)) [٩]، فالتكثير واضح في أنّه في بنية الكلمة زيادةً لها في حروفها ؛ لتجد الكلمة صيغة جديدة تعبر فيها عن الكثرة والتكثير.

٢. لام التكثير

ذكرها الزجاجي قال: ((لام التكثير هي المزيدة في ذلك والاسم منه عند البصريين ذا واللام للتكثير والكاف للخطاب))[١٠]، وذكرها أبو سهل الهروي قال: ((وذلك: اسم مبهم وهو نقيض هذا في الإشارة... والاسم منه ذا، واللام زائدة للتكثير)) [١١]، فهذا رأي سيبويه والبصريين في لام التكثير. أما الكوفيون فقد ذكر الزجاجي

---

(١) الضبغطرى : كلمة يفزع بها الصبيان . وقيل : الشديد أو الأحمق .

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب : ٢ / ٢٢٧ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب ، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت : ١٠٩٣ هـ) ، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت : ٦٨٦ هـ) ، تح : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥ : ٢ / ٤٢ .

(٤) إسفار الفصيح : محمد بن علي بن محمد ، أبو سهل الهروي (ت : ٤٣٣ هـ) ، تح : أحمد بن سعيد بن محمد قشاش ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط / ١ ، ١٤٢٠هـ : ١ / ٢١٤ .

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت : ٥٧٧ هـ) ، المكتبة العصرية، ط / ١ ، ٢٠٠٣ : ٢ / ٥٥١ .

(٦) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٧) اللباب في علل البناء والإعراب : ٢ / ٢٨٢ .

(٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت : ٧٤٩ هـ) ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، دار الفكر العربي ، ط / ١ ، ٢٠٠٨ : ٣ / ١٢١٥ .

(٩) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : محمد بن علي الصبان ، أبو العرفان الشافعي (ت : ١٢٠٦ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٧ : ٣ / ٣٨٦ .

(١٠) اللامات : عبد الرحمن بن إسحاق ، أبو القاسم البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت : ٣٣٧ هـ) ، تح : مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط / ٢ ، ١٩٨٥: ١٣١ .

(١١) إسفار الفصيح : ١ / ٢١٤ .

أنّ رأيهم فيها أنّها للتكثير أيضاً قال: ((وقال الفراء وجميع الكوفيين هذه اللام للتكثير وهي وإن كانت تكثيراً فقد أفادت فائدة ولم تزد هدراً وهي التي ذكرناها والاسم من ذلك عند الكوفيين الذال وحدها والألف صلة واللام تكثير والكاف للخطاب)) (١)، ثم ذكر أن هذه اللام تزاد في غير (ذلك) قال: ((وقد تزاد لام التكثير في أولئك فيقال أولا لك)) (٢)، وتمثل بقول الشاعر:

أولا لك قومي لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل إلا أولا لكا

٣. تاء التفعّل والتفعيل للتكثير

المصدر في العربية له صور متعدّدة ومن أشهر صوره التفعّل والتفعيل بمعنى أنّنا لو أردنا إصدار مصدر من الفعل الثلاثي المضعّف جئنا به على صورة التفعّل والتفعيل. فهما صيغتان للمصدر، قيل أنّهما بالمعنى نفسه وقيل إنّ لكلّ منهما معناه كما أنّ لكلّ منهما صورته. على أنّ التشديد في كلاهما للتكثير، فذكر أبو البقاء العكبري: ((أن الكلام ينوب عن التكليم والتكلّم وكلاهما مشدّد العين. والتشديد للتكثير وأدنى درجاته أن يدلّ على جملة تامة))(٣)، فكلّم مصدره تكليم، وتكلّم. زادت التاء والياء في الصيغة الأولى، وزادت التاء والتضعيف في الصيغة الثانية. فالتاء في كلا الحالين زائدة لتكثير الصيغة. ولحظ أنّ هذه الزيادة قد تكون مطردة في صيغٍ بعينها فقال: ((وقد اطردت زيادة التاء في الفعل للمعاني، نحو: تفعّل وتفاعل وافتعل، وفي مصادرها، وفي مصدر فعّل، نحو: قطّع تقطيعاً. فزيادة التاء والياء عوض من تشديد العين في الفعل ليدلّ على التكثير والتوكيد)) (٤).

٤. تاء المصدر (المؤخرة) تدل على التكثير

قال الفرّاء يعلل سقوط التاء المؤخرة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ** ﴾ (٥): ((وأمّا قوله (وَإِقامِ الصَّلاةِ) فإن المصدر من ذوات الثلاثة إذَا قلت: أفعلت كقيلك: أقمت وأجرت وأجبت يقال فيه كله: إقامة وإجارة وإجابة. لا يسقط منه الْهَاء (٦). وإنّما أدخلت لأن الحرف قد سقطت منه الْعَين، كَانَ ينبغي أن يُقال: أقمته إقوامًا وإجوابًا فلمّا سُكنت الواو وبعدها ألف الإفعال فسكنتا سقطت الأولى منهما. فجعلوا فِيهِ الْهَاء كأنها تكثير للحرف))(٧)، وقال الرضي: ((إذا قلت: أفعلت كقولك أقمت وأجبت، يقال فيه: إقامة وإجابة، ولا تسقط منه الهاء(٨)، وإنما أدخلت؛ لأن الحرف قد سقطت منه العين، كان ينبغي أن يقال: إقْوَاماً فلما سكنت الواو وبعدها ألف الإفعال فسكنتا فسقطت الأولى منهما فجعلوا الهاء كأنها تكثير للحرف)) (٩)، فإقام أصلها إقامة. والتاء في إقامة وأمثالها زائدة لتكثير الكلمة بما فقدته من نقص.

وقد ذكر الفرّاء أمثلةً أخرى تضاف فيها التاء للتكثير من مثل تاء عدة وسعة وأمثالهما، قال: ((ومثله مما أسقط منه بعضه فجعلت فِيهِ الهَاء قولهم: وعدته عِدة ووجدت فِي المال جِدَةً، وزِنَة ودِيَة وما أشبه ذَلِكَ، لِمَا

(١) المصدر نفسه : ١٣٢ .

(٢) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٣) اللباب في علل البناء والإعراب : ١ / ٤٢ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ٢٧١ .

(٥) النور : من الآية : ٣٧ .

(٦) يقصد : التاء المؤخرة في الكلمة .

(٧) معاني القرآن : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور ، أبو زكريا الديلمي الفراء (ت : ٢٠٧ هـ) تح : أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي ، دار المصرية ، مصر ، ط / ١ : ٢ / ٢٥٤ .

(٨) يقصد التاء الأخيرة .

(٩) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ٤ / ٦٤ .

أسقطت الواو من أوّله كُثر من آخره بالهاء)) [١]، ولعلّ الفرّاء يريد أن يقول إنّ حذف أوّل الكلمة أدّى إلى جعل الكلمة تكون قليلة الحروف فكثّروها بما أضافوا إليها هذه التاء الأخيرة.

وقد يقال لرجل فقاقة أو جخابة أي أحمق كثير الكلام وهذه التاء في آخر الصيغة ربّما هي للمح الصفة أو للتحقير كثّروا بها الصيغة لغاية ومثلها في الداهية والبهيمة. وهي من صفات الذم تذكر للمذكر والمؤنث معاً وقد علل الهروي ذلك بقوله: ((فكما أن في آخر الداهية والبهيمة هاء [٢]، كذلك أتوا بها في وصف الإنسان المذكر الممدوح والمذموم تشبيها بهما، فإذا مدحوه وبالغوا في ذلك شبهوه بالداهية، وأرادوا أن أمره وفعله منكر زائد على غيره كالداهية، وكذلك أيضا إذا ذموه وبالغوا في ذلك شبهوه بالبهيمة التي لا تنطق بشيء يفهم، ولا تفرق بين الفعل القبيح والحسن. وهذا هو معنى قول الكوفيين وطريقتهم. وأما البصريون فإنهم قالوا: الهاء في هذا الباب للمبالغة في الوصف الذي يمدح به أو يذم)) [٣]، ثم خلص الهروي إلى نتيجة مهمة مفادها أنه: ((يقال للمؤنث في فصول هذا الباب – كما يقال للمذكر – بالهاء لأنهم لما أتوا بها في وصف المذكر لمعنى المبالغة والتكثير أشركوا فيه المؤنث أيضاً)) [٤]، فقد ارتبطت المبالغة مع التكثير في هذا الباب. على أننا قد نلحظ من يقول إنّ تاء الكلمة في مثل (قرية) هي زائدة للتكثير قال الحملاوي: ((وتُزاد في الجمع عِوضاً عن ياء النسب في مفرده، كأشاعثة وأزارقة، ولمجرد تكثير البِنية، كقرْيَة وغَرْفَة)) [٥]، وإذا كان المعروف عن هذه التاء للتأنيث قال محقق الشذا: ((قوله: (ولمجرد تكثير البنية): أي التكثير المجرد عما تقدم، فلا ينافي أنّها فيما ذكر لتأنيث اللفظ أيضاً))[٦]، بمعنى أنّ كلّ تاء مؤخرة كهذه هي زائدة للتكثير.

٥. حروف الإعراب للتكثير

جاء ذلك مع الأسماء الستة. إذ إنّ هذه الأسماء تكون على حرفين مثل: أب، وأم، وأخ، وحم، وهن، وذو، فتضاف حروف الإعراب لزيادة بنية هذه الأسماء وتكثير شكلها، فقد جاء في الإنصاف رأيٌ عن عدّ هذه الحروف زوائد لتكثير بنية الكلمة الصغيرة لتكثر بذلك حروفها، جاء في الإنصاف: ((إنما أعربت هذه الأسماء الستة من مكانين: لقلّة حروفها، تكثيرًا لها، وليزيدوا بالإعراب في الإيضاح والبيان)) [٧] فقد زاد بوجود هذه الحروف عدد حروف بنية هذه الأسماء لتكثر وتبين وتتميّز عن غيرها.

٦. حروف المدّ تدل على التكثير

ومن التخريجات في التكثير، ما ذكره ابن جني في قوله: ((ومنه ما يكون للمدّ، يعني الواو في (عجوز وعمود), والياء في (جَرِيب وقَضِيب) , والألف في (كتاب وسراج) لم يرد بهذه وما أشبهها إلا امتداد الصوت والتكثير بها ؛ ولأنهم كثيراً ما يحتاجون إلى المد في كلامهم ؛ ليكون المد عوضاً من شيء قد حذفوه، أو للين الصوت فيه)) [٨]، ويبدو أنّ ابن جني أراد أن يخرج هذه الزيادة الموجودة في الصيغة في حروف المدّ على التكثير في بنية الصيغة الأولى التي هي صيغة الفعل فصيغة (عجز)، و(عمد) كثّرت بإضافة الواو إليها، وصيغة (جرب)، و(قضب) كثّرت بإضافة الياء إليها، وصيغة (كتب)، و(سرج) كثّرت بإضافة الألف إليها. ولهذا

---

(١) معاني القرآن : ٢ / ٢٥٤ .

(٢) يعني بها التاء المؤخرة .

(٣) إسفار الفصيح : ٢ / ٧٩٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٢ / ٧٩٧ .

(٥) شذا العرف في فن الصرف : أحمد بن محمد الحملاوي (ت : ١٣٥١ هـ)، تح : نصر الله عبد الرحمن نصر الله ، مكتبة الرشد ، الرياض، ط/ ١، د / ت : ٧٤.

(٦) المصدر نفسه : الصفحة نفسها : الهامش : ٢ .

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : ١ / ١٩ .

(٨) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت : ٣٩٢ هـ) ، دار إحياء التراث القديم ، ط / ١ ، ١٩٥٤ : ١٤ .

فإنّ ابن جني قد التفت إلى هذا التحليل فقال: ((هذه المدات، وللحاجة إلى الاتساع في كلامهم ؛ لأنهم قد يعبرون عن المعنى الواحد بالألفاظ الكثيرة، وهذا يضطر إلى الاتساع، فمن ها هنا احتِيج إلى الزوائد المكثرة للكلام)) (١)، أي التي تكوّن صيغاً جديدةً للاتساع في اللغة وتوسيع سبل الكلام بها.

قال الشيخ جار الله الزمخشري في ما خصّصه لوزن مفعله للتكثير: ((وإذا كثر الشيء بالمكان قيل فيه مفعلة بالفتح، أرض مسبعة ومأسدة ومذأبة ومحيأة ومفعأة ومقثأة ومطبخة)) (٢) فأكثر من الكلمات التي قالها العرب في هذا الوزن.

٧. زيادة (ميم) للتكثير

تزاد الحروف في الكلمات لمعانٍ متعدّدة ومن هذه الزيادات زيادة (ميم) في بعض الكلمات تفخيماً لها بتكثير حروفها، قال الزجاجي: ((قالوا ابنمٌ يريدون الابن، ويزيدون عليه الميم، تكثيراً)) (٣)، وقال الأشموني: ((واعلم أن الزيادة تكون لأحد سبعة أشياء: للدلالة على معنى كحرف المضارعة وألف المفاعلة، وللإلحاق كواو وجدول، وياء صيرف وعثير، وألف أرطى ومعزى، ونون جحنفل ورعشن، وللمد كألف رسالة، وياء صحيفة، وواو حلوبة، وللعوض كتاء زنادقة وإقامة، وسين يسطيع، وميم اللهم، وللتكثير كميم ستهم وزرقم وابنم، زيدت لتفخيم المعنى وتكثيره، ومن هذا المعنى ألف قبعثرى وكمثرى)) (٤)، ولعلّ الكلمات: ستهم (٥) وزرقم (٦) وابنم قد زيدت فيها هذه الميم لغاية رآها المتكلّم الأول فخفيت على العلماء فخرجوا سبب زيادتها على التكثير والتفخيم. وأتذكر قول حسان في هذا المقام إذ قال في شعره (٧):

ولدْنَا بِنَي العنقاءِ وابنيّ مُحَرِّقٍ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكْرِمْ بِنا اْبَنمَا

فإنّ قوله (ابنما) فيها زيادة ملحوظة زادها تفخيماً أو تكثيراً لبنية الكلمة لتوائم القافية، أو تسالم الوزن.

٨. زيادة (نون) للتكثير

ذكرها ابن عصفور قال: ((... أو لتكثير الكلمة: نحو أَلف: قبَعْثرًى، ونون كَنَهْبُل (٨) ؛ لأنه لا يمكن فيهما الإلحاق، إذ ليس لهما من الأصول نظير يلحقان به. وإذا أمكن أن تجعل الزيادة لفائدة كان أولى من حملها على التكثير, إذ لا فائدة في ذلك)) (٩)، فهذه النون جاءت في بنية الكلمة من غير ما نجد له نظيراً في كلام مثلها فتقاس عليه، فعدّها لذلك زائدة لتكثير البنية.

٩. زيادة (هاء) للتكثير

قال قصيٌّ بن كلاب (١٠):

---

(١) المنصف شرح كتاب التصريف للمازني : ١٥ .

(٢) المفصل في صنعة الإعراب : محمود بن عمرو بن أحمد أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ، تح : د. علي بو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٣ : ٣٠٤ .

(٣) مجالس العلماء : عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي ، أبو القاسم الزجاجي (ت : ٣٣٧ هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض ، ط / ٢ ، ١٩٨٣ : ١٠٤ .

(٤) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن نور الدين الأشْمُوني الشافعي (ت : ٩٠٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١، ١٩٩٨ : ٤ / ٥٤ .

(٥) الستهم : العجز .

(٦) الزرقم : الأزرق الشديد .

(٧) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : عبد الرحمن البرقوقي ، القاهرة ، ١٩٢٩ : ٣٧١ .

(٨) الكنهبل : صنف من الطلح جفر قصار الشوك ، أو عني به قبيح الرائحة من النبات ، أو شجر عظام وهو من العضاه .

(٩) الممتع في التصريف : ١ / ١٤٠ .

(١٠) جَدَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إني كدي الْحَرْبِ رَخِيُّ اللَّبَبِ عِنْدَ تَنَادِيهِمْ بِهَالٍ وَهَبِ
مَعْتَزِمُ الصَّوْلَةِ عَالِي النسبِ أُمَّهَتي خِندِفُ والياسُ أَبِي

الشاهد فيه: (أمهتى)، إذ زاد الهاء على أمّ التي هي بوزن (فُعْلٌ) بدليل الأمومة، قال ابن جني: ((كان أبو العباس يخرج الهاء من حروف الزيادة... وهذه مخالفة منه للجماعة، وغير مرضي منه عندنا، وذلك أنّ الدلالة قد قامت على زيادة الهاء في غير ما ذكره، فمما زيدت فيه الهاء قولهم (أمَّهَات)، ووزنه فُعْلَهَات، والهاء زائدة، لأنه بمعنى الأم، والواحدة أمهة)) [١]، وزيادتها هذه للتكثير في ما ذكره الشيخ خالد الأزهري: ((فالهاء زائدة في المفرد والجمع، ووزن (أمّهة): (فعلهة)، والهاء للتكثير)) [٢]، فنعدّها للتكثير على ما ذكره الشيخ في كتابه على أنّ أغلب النحويين قبله لم يذكروا أنّ زيادتها للتكثير.

١٠. (ربّ) تأتي للتكثير

قال ابن السراج: ((رب: حرف جر , وكان حقه أن يكون بعد الفعل موصلاً له إلى المجرور كأخواته إذا قلت: مررت برجل وذهبت إلى غلام لك , ولكنّه لمّا كان معناه التقليل وكان لا يعمل إلا في نكرة فصار مقابلاً لـ(كم) إذا كانت خبراً)) [٣]، وأقد أكد ابن السراج هنا على أنّ (ربّ) تفيد التقليل فقط وقد علّق الدكتور عبد الحسين الفتلي على هذا المعنى بقوله: ((لم ينصّ سيبويه صراحة على أنّ (ربّ) تفيد التكثير أو التقليل وإنّما ذكر أنّ (كم) في الخبر لا تعمل إلا فيما تعمل فيه (ربّ) ؛ لأنّ المعنى واحد، وهذا يحتمل تفسيرات كثيرة , ربّما يكون أحد هذه التفسيرات أنّها تفيد التكثير)) [٤].

إنّ دلالة (ربّ) على التقليل أشار إليها العلماء بل أكّد العلماء هذه الحقيقة، ولكن يبقى ما صرّح به بعضهم مثار اهتمام قال صاحب الإيضاح: ((فإن قيل: هي مختصة بمعنى التقليل فقط، أم تكون للتقليل والتكثير؟ فالجواب: أنّها للتقليل خاصة، وبه قال جلّة النحويين، وكبراء البصريين، وأنّها ضد (كم)... وكذلك جلة الكوفيين)) [٥]، ولعلنا ندرك أنّ هذا الكلام هو ملخص ما يقال عن حقيقة (ربّ)، وأنّها للتقليل لا للتكثير. ولكنّ المتتبع لكلام بعض النحويين يستكشف أنّها تقع تكثيراً، ويدرك أنّها يؤتى بها في الكلام على غير التقليل. ولعلّ المائز هنا هو السياق وتخريج العلماء لها في هذه المواضع، فقد ذكر صاحب الإيضاح استثناءً لما قرّره سابقاً مفاده: ((إلا صاحب (كتاب العين) [٦] فإنه صرح أنها للتكثير، ولم يذكر أنها تجيء للتقليل. وذكر الفارسي في كتاب (الحروف) أنها تكون تقليلاً وتكثيراً)) [٧]، ثم إنّه أخبرنا برأي الأعلم في القضية قال: ((ربّ للتقليل خاصة، إلا أن التقليل، تقل ذاته ووجوده مرة، ويقل وجوده مرة وإن كثرت ذات وعظمت، كقول المفتخر من العرب ربّ غارة أغرت على بني فلان، وربّ ناقة كوماء نحرت، وما أشبهه. فالمعنى: إن الغارة وإن تناهت في عظم ذاتها،

---

(١) سر صناعة الإعراب : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت : ٣٩٢ هـ) ، تح : أحمد رشدي شحاته ، وعامر محمد فارس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط/ ١ ، ٢٠٠٠ : ١ / ٦ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح : خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري (ت : ٩٠٥ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ : ٢ / ٦٧٧ .

(٣) الأصول في النحو : محمد بن السري بن سهل ، أبو بكر النحوي المعروف بابن السراج (ت : ٣١٦ هـ) ، تح : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت : ١ / ٤١٦ .

(٤) المصدر نفسه : ١ / ٤١٦ ، الهامش : ١ .

(٥) إيضاح شواهد الإيضاح : الحسن بن عبد الله ، أبو علي القيسي (ت : ق ٦ هـ) ، تح : د. محمد بن حمود الدعجاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط / ١، ١٩٨٧ : ١ / ٢٨٨ .

(٦) لم أجد تصريحه هذا في العين فقد ورد فيه : ((ورُبَّ : كلمة تُفْرِدُ واحداً من جميع يقع على واحد يُعْنَى به الجميع ،كقولك : رُبَّ خَيْرٍ لَقِيته ، ويقال : رُبّما كان ذلك)) ، العين : ٨ / ٢٥٨ مادة (رب) .

(٧) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ٢٨٩ .

وكثرة عمومها، فهي قليلة المثل، ومعدومة النظير، وكذلك الناقة، وإن كثرت وعظمت، فهي من غيره غريبة الوجود قليلة. فهذا معنى (ربّ) في الكلام، وعلى هذا التأويل، وقعت في الافتخار، وقد توهم بعض النحويين، أنها للتكثير، الذي هو ضد التقليل المعلوم فيها، فأخرجها إلى (كم) وليست كذلك)) [١]، ومن كلامه هذا يستشف أنّ تخريج كونها للتكثير يمكن أن يحصل دلالياً ؛ لأن الكلام يحتمله والسياق يفرضه. ولهذا احتجا إلى فهم طبيعة هذا التخريج وحقيقة هذا التغيير الذي يطرأ عليها فاحتاج الكلام لرأي آخر فجاء صاحب الإيضاح برأي جديد قال: ((وقال أبو محمد عبد الله بن السيد رحمه الله: اعلم أنّ (رب) و(كم) بنيا على التناقض، في أصل وضع (رب) للتقليل، وأصل وضع (كم) للتكثير، هذه حقيقة وضعهما، ثم يعرض لهما المجاز للمبالغة، وغيرها من الأغراض، فتقع كل واحدة منهما موقع صاحبتها، مع حفظهما لأصل وضعهما، وهذه سبيل المجاز ؛ لأنه عارض يعرض للشيء، فيستعار في غير موضعه، ولا يبطل ذلك حقيقته التي وضع عليها)) [٢]، أي إنّ ربّ قد تدل على التكثير دلالةً. وكم تدلّ على التقليل دلالةً أيضاً. وهذا القول قد يبدو غريباً بعض الشيء ؛ لأنه يحمل الكلام ما لا يحتمل. ولكن هذا شأن اللغة، وهذه طبيعة مرونتها وقابليتها على التعبير. فاللغة – وخصوصاً العربية لا بدّ أن تكون مرنة لتوافق الجميع في عرض صور التعبير عندهم. وقد عرض صاحب الإيضاح لصور التغاير في الدلالة في مثل المدح والذم، التذكير والتأنيث، ثم خلص إلى نتيجة علمية هي: ((إنّ النقيضين إنما بينهما حدٌّ يفصل بعضهما من بعض. فإذا زاد أحدهما على حدّه، انعكس إلى ضدّه ؛ لأنّه لا مذهب له يذهب إليه، إذ لا واسطة بينهما)) [٣]، وقد استشهد بقول الشاعر:

ضحِكت من الْبَين مستعجباً وشرُّ الشَّدائدِ ما يضحكُ

وبعد أن يستكثر نماذج كثيرة جداً عن دلالة (ربّ) على التقليل يقول بعد ذلك: ((وأما المواضع التي فيها (ربّ) بمعنى التكثير، على طريق المجاز، فهي المواضع التي يذهب بها لمعنى الافتخار، والمباهاة، كقول القائل: ربّ عالمٍ لقيتُ، وربّ يومِ سرورٍ شهدتُ ؛ لأنّ الافتخار، لا يكون إلا بما كثر من الأمور في الغالب من أحواله، وقد يكون لقاء الرجل الواحد، أذهب إلى الفخر من لقاء الجماعة، ولكنّ الأول هو الأكثر)) [٤]، وقد استشهد بأبياتٍ كثيرة للدلالة على ما ذهب إليه، فمن ذلك قول امرئ القيس [٥]:

ألا ربَّ يومٍ منهنَّ صالحٍ ولَا سِيَّمَا يَوْمٌ بِدَارَةِ جُلْجُلِ

الذي يدلّ دلالة واضحة على تعدّد هذه الأيام وتكثيره لها خصوصاً إذا لحظنا قوله في الشطر الثاني (ولا سيَّما) التي تدل على التخصيص. وومن المفهوم أنّ التخصيص تقليل الكثير طبعاً ؛ ليحصل على نتيجة مفادها: ((فهذه مواضع لا يليق فيها إلا التكثير)) [٦]، وذكر الرضي هذا البيت لمنظور بن مرثد الأسَدِي:

يَا رُبَّ أبَّازٍ مِنَ الْعَفرِ صَدَعْ تَقَّبَّضَ الذِّئْبُ إلَيْهِ وَاجْتَمَعْ

وقال عنه: ((وقد أنشدهما [١] ابن السكيت في باب فَعَل وفعَّل من إصلاح المنطق، و(يا) حرف التنبيه، ورب لإنشاء التكثير)) [٢]، فـ(ربّ) أفادت التكثير على زعم الرضي في هذا البيت. والمعنى أنّ كثير ما يحصل ذلك.

---

(١) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ٢٨٩ .

(٢) المصدر نفسه: ١ / ٢٨٩ – ٢٩٠ .

(٣) المصدر نفسه : ١ / ٢٩٠ .

(٤) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ٢٩٩ .

(٥) ديوان امرئ القيس : دار صادر ، بيروت ، د / ت : ٣٢ .

(٦) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ٣٠٠ .

وقد لخّص المرادي أقوال العلماء في (ربّ) بشكل جميل ومفيد قال: ((واختلف النحويون، في معنى رب، على أقوال: الأول: أنها للتقليل. وهو مذهب أكثر النحويين. ونسبه صاحب البسيط إلى سيبويه. والثاني: أنها للتكثير. نقله صاحب الإفصاح عن صاحب العين، وابن درستويه، وجماعة. ولم يذكر صاحب العين أنها تجيء للتقليل. الثالث: أنها تكون للتقليل والتكثير. فهي من الأضداد. وإلى هذا ذهب الفارسي في كتاب الحروف. الرابع: أنها أكثر ما تكون للتقليل. الخامس: أنها أكثر ما تكون للتكثير، والتقليل بها نادر. وهو اختيار ابن مالك[٣]. السادس: أنها حرف إثبات، لم يوضع لتقليل ولا تكثير. بل ذلك مستفاد من السياق. السابع: أنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار)) [٤]، وهذا النصّ يلخّص كل الآراء في (ربّ) بشيء من الاختصار والإحاطة بما يؤكد احتمال مجيء (ربّ) دالة على التكثير عند كثير من العلماء.

١١.(قد) تأتي للتكثير

من أشهر معاني (قد) التحقيق إذا كانت مع الفعل الماضي، والتقليل إذا كانت مع الفعل المضارع. ولكن سيبويه لما أورد قول عبِيْد بن الأبرص [٥]:

قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُه كأَنَّ أَثْوَابَهُ مُجَّتْ بِفِرْصَادِ

عدّ (قد) بمعنى (ربّما) قال: ((كأنه قال: ربّما)) [٦]، ومن المعلوم أنّ معنى (ربّما) التكثير، وقال ابن السراج القول نفسه [٧]، وقال المرادي تعليقاً وتخريجاً لمعنى البيت: ((كأنّه قال: ربّما. هذا نصه. فتشبيهه بـ(ربّما) يدلّ على أنها للتكثير)) [٨]، وقد ذكر هذا المعنى المرادي أيضاً عند عدّه معاني (قد) فقال في المعنى الرابع: ((التكثير. وهو معنى غريب. وقد ذكره جماعة، من النحويين... قلت: وجعل الزمخشري [٩] منه قوله تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [١٠])) [١١]، ومعنى البيت: أنّني كثيراً ما أشهد الغارة وأنا راكب فرسي بهذا الوضع من الجهد العظيم. نقول ذلك لأنه في موقف المدح والفخر لنفسه فهو تكثير وليس تقليلاً، ومعنى الآية: أنّنا كثيراً ما نرى تقلّب وجهك في السماء.

فالمعنى الذي يستطيع الخروج به توضيحاً لمعنى هذا البيت أن يجعل (قد) هنا دالةً على التكثير والمبالغة في الكلام. وربما كان ذلك بما لاحظه من مجيئها مع الفعل المضارع، قال ابن الصائغ في خلاصة

---

(١) هو وبيت بعده

(٢) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ٤ / ٢٧٥ .

(٣) ينظر : شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ٢ / ١٠٤ .

(٤) الجنى الداني في حروف المعاني : ٤٣٩ – ٤٤٠ .

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص : دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٩هـ : ٦٤ .

(٦) كتاب سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر الحارثي بالولاء ، الملقب سيبويه (ت : ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط / ٣ ، ١٩٨٨ : ٤ / ٢٢٤ ، وينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت : ٧٦١ هـ) ، تح : د. مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ، دمشق ، ط / ٦ ، ١٩٨٥ : ١ / ٢٣١ .

(٧) ينظر : الأصول في النحو : ٣ / ١٧٣ .

(٨) الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٥٩ .

(٩) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل : محمود بن عمرو بن أحمد ، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط / ٣ ، ١٤٠٧ هـ : ١ / ٢٠١ .

(١٠) البقرة : من الآية : ١٤٤ .

(١١) الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٥٨ .

بحثه عن (قد): ((والحاصل: أنّها تُفيد مع الماضي أحد ثلاثة معانٍ: التوقّع، والتّقريب، والتّحقيق ؛ ومع المضارِع أحد أربعة معانٍ: التوقّع، والتّقليل، والتّحقيق، والتّكثير)) [١]، فـ(قد) هنا للتكثير الذي يفيد التحقيق والتوثيق.

ثانياً: الأسماء

يكون التكثير في الأسماء، بمعنى أنّ هناك أسماء تؤدي هذا الغرض، ومن أشهرها:

١. (كم) تدل على التكثير

قال ابن السراج في المقارنة بين (ربّ) و(كم): ((وأما الكوفيون ومن ذهب مذهبهم فيقولون: ربّ وضعت على التقليل... وكم وضعت على التكثير)) [٢]

وقال ابن فارس في الفرق بين كم الاستفهامية، وكم الخبرية: ((وتقول: (كم رجلاً رأيتَ ?) في الاستخبار، و(كم رجلٍ رأيتَ) في الخبر يراد به التكثير)) [٣]، فكم التي للاستفهام يراد في جوابها العدد أو جواب محدّد على عكس الثانية التي للخبر كما يسميها ابن فارس فإن مراد المتكلم منها الكثرة والعموم غير المحصي ولهذا قال هي للتكثير. أي إنّ خبرها كثير. وقال أبو البركات الأنباري في التفريق بين كم التي تكون استفهامية، وكم التي للخبر: ((أما في الخبر فلا تكون إلا للتكثير، فجُعلت بمنزلة العدد الكثير)) [٤] بمعنى أنّ جوابها غير محدّد وإنما هو كثير فحسب.

وذكر ابن فارس أنّ (كم) و(كأيّن) يأتيان للتكثير قال: ((ويكون استخباراً، والمعنى تكثير، نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿ **وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا** ﴾ [٥]، و﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ** ﴾ [٦])) [٧]، فقد أضاف هنا (كأيّن) لتكون دالةً على التكثير تشبيهاً لها بـ(كم) الخبرية. وقال ابن مالك: ((ثم بيّنت أنّ (كأين) و(كذا) تفيدان ما تفيده (كم) الخبرية من تكثير مبهم الجنس، والمقدار)) [٨]، فأضاف إلى (كم) الخبرية، (كأين) و(كذا) فالثلاثة عنده تفيد التكثير. إلا أنّ (كم) تختلف في أمور عنهما قال المرادي في شبه (كم) بهما: ((وجه الشبه إنّما هو في الدلالة على تكثير عدد مبهم لا في جميع الأحكام)) [٩]، فهي متشابهة معهما في التكثير لا في جميع الأمور.

٢. النكرة تدل على التكثير

قال أبو البركات الأنباري في اختصاص (كم) وربّ) بالنكرة: ((وأما اختصاصهما بالتنكير فيهما جميعًا ؛ فلأن (كم) لَمَّا كانت للتكثير، والتكثير والتقليل لا يصح إلا في النكرة لا في المعرفة ؛ لأن المعرفة تدل على شيءٍ مختص، فلا يصح فيه التقليل، ولا التكثير ؛ ولهذا، كانت (رُبَّ) تختص بالنكرة ؛ لأنها لَمَّا كانت للتقليل،

---

(١) اللمحة في شرح الملحة : محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي ، أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن الصائغ (ت : ٧٢٠ هـ) ، تح : إبراهيم بن سالم الصاعدي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ط / ١ ، ٢٠٠٤ : ١ / ١١٣ ، وينظر : الجنى الداني في حروف المعاني : ٢٥٩ .

(٢) الأصول في النحو : ١ / ٤١٨ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس بن زكرياء ، أبو الحسين القزويني الرازي (ت : ٣٩٥ هـ) ، تح : أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٧ : ١٤٣ .

(٤) أسرار العربية : عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت : ٥٧٧ هـ) ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ط / ١ ، ١٩٩٩: ١٦٦ .

(٥) الأعراف : من الآية : ٤ .

(٦) الحج : من الآية : ٤٨ ، ومحمد : من الآية : ١٣ ، والطلاق : من الآية : ٨ .

(٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ١٣٦ .

(٨) شرح الكافية الشافية : محمد بن عبد الله ، ابن مالك الطائي الجياني ، (ت : ٦٧٢ هـ) ، تح : عبد المنعم أحمد هريدي ، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، مكة المكرمة ، ط / ١ : ٤ / ١٧١٠ .

(٩) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : ٣ / ١٣٤٢ .

والتقليل إنَّما يصح في النكرة لا في المعرفة)) [١]، فالنكرة تدلّ على احتمال التقليل في مدلولها، واحتمال التكثير. ولا يمكن تخصيص ذلك إلى بالمعرفة التي تدلّ على التخصيص والتحديد والقدر المتعيّن. وقال الأنباري أيضاً في خصوص (ربّ) بالنكرة: ((وأما كونها لا تعمل إلا في النكرة ؛ فلأنها لَمّا كانت تدل على التقليل، والنكرة تدل على التكثير، وجب أن تختصّ بالنكرة التي تدل على التكثير ؛ ليصح فيها التقليل)) [٢]، فقد جزم بأنّ النكرة تفيد التكثير. فلو قال متكلّم: رأيتُ رجلاً. لانطبقت لفظة (رجلاً) على كثير من الرجال ولا تختصّ برجل بعينه إلا بنقل اللفظة إلى التعريف.

ونلحظ هذا المعنى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ [٣]، فقد قال السمين الحلبي: ((والتنكير في (نفس): إما لتعظيمها، أي، نفس عظيمة، وهي نفس آدم، وإما للتكثير كقوله: ﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ** ﴾ [٤])) [٥]، فالنكرة أخبرت عن التكثير والمبالغة في العدد.

٣. الظرف غير المحدّد يدلّ على التكثير

ذكر سيبويه في باب وُقوع الأسماء ظُروفاً، وتصحيح اللفظ على المعنى ما نصّه: ((فمن ذلك قولك: متى يُسارُ عليه ؟ وهو يجعله ظرفاً. فيقولُ: اليومَ أو غداً، أو بعد غدٍ أو يومَ الجمعة. وتقول: متى سِيرَ عليه ؟ فيقول: أَمْسِ أَوْ أَوّلَ من أَمسِ، فيكونُ ظرفاً، على أنه كان السير في ساعة دونَ سائر ساعات اليوم، أو حين دون سائر أحيانِ اليوم)) [٦]، فهو يعني أنّ الجواب كان موسّعاً فيه غير محدّد بدقّة فدلّ ذلك الإعمام على التكثير، والدليل قوله بعد ذلك: ((ويدلُّك على أنه لا يكون أن يجعل العمل فيه في يومٍ دونَ الأيّام وفى ساعة دون الساعات، أنَّك لا تقول: لقيتُه الدهرَ والأبدَ، وأنت تريد يوماً منه، ولا لقيته الليل وأنت تريد لقاءه في ساعةٍ دون الساعات، وكذلك النَّهارُ، إلاّ أن تريد سير عليه الدهرَ أَجمعَ والليلَ كلَّه، على التكثير)) [٧]، وقال سيبويه في موضع آخر في المعنى نفسه: ((فإن قلت: إذا كان الليلَ فأتِنى، لم يَجُزْ ذلك، لأنَّ الليل لا يكون ظرفاً إلاَّ أَنْ تَعْنِيَ الَّليلَ كلَّه على ما ذكرت لك من التكثير)) [٨]، وقد أجاب ابن السراج عن التساؤل القائل إنّ الظرف هنا محدود بمدّة محدّدة أو هو مفتوح المدة غير محدّد قال: ((وأما قولهم: سار الليل والنهار والدهر والأبد فهو وإن كان لفظه لفظ المعارف فهو في جواب (كم) , ولا يجوز أن يكون جواب (متى) ؛ لأنه إنما يراد به التكثير وليست بأوقات معلومة محدودة فإذا قالوا: سير عليه الليل والنهار فكأنهم قالوا: سير عليه دهراً طويلاً. وكذلك الأبد فإنما يراد به التكثير والعدد وإلاّ فالكلام محال)) [٩]، وقال أبو الفضل السبتي: ((يقال أقمنا على كذا دهراً كأنّه لتكثير طول المقام)) [١٠]، فالظرف غير المحدّد يدلّ على التكثير.

---

(١) أسرار العربية : ١٦٦ .

(٢) المصدر نفسه : ١٩٥ .

(٣) الشمس : ٧ .

(٤) التكوير : من الآية : ١٤ ، والانفطار : من الآية : ٥ .

(٥) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : أحمد بن يوسف بن عبد ، المعروف بالسمين الحلبي (ت : ٧٥٦ هـ) ، تح : د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق، ط / ١ ، د / ت : ١١ / ٢٠ .

(٦) كتاب سيبويه : ١ / ٢١٦ .

(٧) كتاب سيبويه : ١ / ٢١٦ – ٢١٧ .

(٨) المصدر نفسه : ١ / ٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٩) الأصول في النحو : ١ / ١٩١ .

(١٠) مشارق الأنوار على صحاح الآثار : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون ، أبو الفضل اليحصبي السبتي (ت : ٥٤٤ هـ) ، المكتبة العتيقة ودار التراث : ١ / ٢٦٢ .

٤. صيغ مفردة

أ.. صيغ المبالغة تدل على التكثير

صيغ المبالغة صيغ محدّدة دلالتها على المبالغة وزيادة الفعل أكثر من مرّة، ويخرج العلماء أكثر صيغها على التكثير، ونعني به التكثير في بنية الفعل لتدلّ على دلالات جديدة، وقد جمعها ابن مالك في قوله [١]:

فعّال أو مفعال أو فعول في كثرةٍ عن فاعلٍ بديل

فيستحق ماله من عمل وفي فعيلٍ قلّ ذا وفعل

فثلاثة منها تدلّ على التكثير واثنتان منها تدلان على التقليل، على أنّ الاثنتان تدلان على الكثرة أيضاً عند بعض النحاة، ونقول إنّهما لولا تدلان على الكثرة لما وضعتا مع صيغ المبالغة الدالّة على الكثرة من عنوانها وتسميتها. وقد تحدّث سيبويه عنها في ما نقله عن شيخه قال: ((وزعم الخليل أنَّ فعولاً، ومفعالاً، ومفعلاً، نحو: قؤول، ومقوالٍ، إنَّما يكون في تكثير الشيء وتشديده والمبالغة فيه)) [٢]. أمّا المبرد فقد ذكر في باب معرفة أسماء الفاعلين هذه الأفعال وما يلحقها من الزيادة للمبالغة قال: ((اعلم أن الاسم على فعل فاعل، نحو قولك: ضرب فهو ضارب، وشتم فهو شاتم. وكذلك فعل، نحو: علم فهو عالم، وشرب فهو شارب فإن أردت أن تكثّر الفعل كان للتكثير أبنية. فمن ذلك: فعّال، تقول: رجل قتّال إذا كان يكثر القتل. فأما قاتل فيكون للقليل والكثير ؛ لأنّه الأصل، وعلى هذا تقول رجل ضرّاب وشتّام)) [٣]، ثم تمثل بأبيات من مثل قول أبي طالب بن عبد المطّلب [٤]:

ضَروبٌ بنَصْلِ السَّيْفِ سُوقَ سِمانِها إذا عَدِموُا زاداً فإنّكَ عاقِرُ

فـ(ضروب وعاقر) من صيغ المبالغة التي يراد بها الكثرة، أي: كثير الضرب وكثير العقر.

ويستدل المبرد على أنّ صيغ المبالغة للتكثير بكلامٍ منطقي صحيح قال: ((وَذَلِكَ أَنَّك إِذا أردْت التكثير من ذَا قلت: مُضَرِبٌ أَعْنَاق الْقَوْم ؛ لِأَن الِاسْم على ضرّب مُضَرّب... أَلا ترى أَنَّك لَا تَقول لمن ضرب ضَرْبَة وَاحِدَة ضرّاب وَلَا لمن خاط خيطة وَاحِدَة خيّاط وَلَا ضروب وَلَا خيوط)) [٥]، فصيغ المبالغة يؤتى بها لبيان التكثير والمبالغة في الفعل، وقال ابن السراج في ذلك أيضاً: ((ومما يجري مجرى (فاعل) , مفعل نحو: قطّع فهو مقطّع وكسّر فهو مكسّر. يراد به المبالغة والتكثير. فمعناه معنى (فاعل) إلا أنّه مرّة بعد مرّة)) [٦]، وقال أبو البركات الأنباري: ((وفعَّال لتكثير الفعل، نحو: ضرَّاب وقتَّال)) [٧]، وهو أنّ الفعل في أوله خالٍ من التضعيف والزيادة الجديدة فإن جاء التضعيف والتكثير في الفعل تحوّل الفعل إلى وزن جديد فيه معنى المبالغة والتكثير في الفعل. وقال ابن هشام أيضاً: ((من الأَسْمَاء العاملة عمل الْفِعْل أَمْثِلَة الْمُبَالغَة وَهِي عبارَة عَن الأوزان الْخَمْسَة الْمَذْكُورَة محولة عَن صِيغَة فَاعل لقصد إفادة الْمُبَالغَة والتكثير)) [٨]، وقال أبو البقاء الكفوي: ((مفعال: لمن اعتاد الفعل

(١) ألفية ابن مالك : محمد بن عبد الله ، ابن مالك الطائي الجياني ، أبو عبد الله، جمال الدين (ت : ٦٧٢ هـ) ، دار التعاون ، بيروت د / ت : ٣٩ .

(٢) كتاب سيبويه : ٣ / ٣٨٤ .

(٣) المقتضب : محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي ، أبو العباس ، المعروف بالمبرد (ت : ٢٨٥ هـ) ، تح : محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت : ٢ / ١١٣ .

(٤) ينظر : ديوان أبي طالب : صنعة أبي هفان العبدي ، تصحيح وتعليق : محمد صادق آل بحر العلوم ، النجف ، ١٣٥٦ هـ : ٣٧ .

(٥) المقتضب : ٢ / ١١٨ – ١١٩ .

(٦) الأصول في النحو : ١ / ١٢٣ .

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : ٢ / ٦٢٠ .

(٨) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت : ٧٦١ هـ) ، تح : عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع ، سوريا ، د / ت : ٥٠٣ .

حتى صار له كالآلة، وهذا الوزن يأتي لاسم الفاعل لغرض التكثير والمبالغة كالمفضال)) [١]، فهي أمثلة يقاس عليها كلّ فعل حصل فيه تكثير ومبالغة. وقال النحاس في وزن (الحرور) فعول الدال على المبالغة: ((لأن الحرور فعول من الحرّ، وفيه معنى التكثير أي الحرّ المؤذي)) [٢]، فهذه الصيغة تدلّ على التكثير أيضاً.

ب.. صيغة (مفعلة) تدلّ على التكثير

قال سيبويه: ((ما يكون (مفعلةٌ) لازمة لها الهاء والفتحة، وذلك إذا أردت أن تكثّر الشيء بالمكان، وذلك قولك: أرضٌ مسبعةٌ، ومأسدةٌ، ومذأبةٌ)) [٣]، أي: أرضٌ فيها سباعٌ كثيرة، وأسودٌ كثيرة، وذئابٌ كثيرة. ولعلّ هذا الأمر قد يكون قليلاً في التعبير وفي أسماء قليلة. وعلل سيبويه ذلك بقوله: ((ولم يجيئوا بنظير هذا فيما جاوز ثلاثة أحرف، من نحو الضفدع والثعلب ؛ كراهية أن يثقل عليهم، ولأنهم قد يستغنون بأن يقولوا: كثيرة الثعالب ونحو ذلك، وإنما اختصوا بها بنات الثلاثة لخفتها)) [٤]، وهذا التكثير من تزويق الكلام باختيار صيغة أشبه بالنحت، أو المحاكاة لاسم منظور. وهو جميل في لفظه ومعناه. فإنّ قول العربي: هذه أرض مأسدة. وقول غيره: هذه أرض مملوءةٌ أسداً. ففي التعبيرين نلحظ الجمال الفكري والدلالي والفني. ولكن انظر إلى الاختصار الذي في التعبير الأول مع جمال الصياغة والإيحاء، فستجده قمة في البلاغة والإيجاز والدلالة.

ج.. صيغة (التِّفْعال) تدلّ على التكثير

قال سيبويه في باب ما يكثر فيه المصدر من فعلت، فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر: ((... وذلك قولك في الهذر: التهذار، وفي اللعب: التلعاب، وفي الصفق: التصفاق، وفي الرد: الترداد، وفي الجولان: التجوال، والتقتال والتسيار. وليس شيء من هذا مصدر فعلت، ولكن لما أردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فعلت على فعلت)) [٥]، أي إنّك متى شئت إقامة المصدر لجأت إلى تكثير البنية الأولى فعملت مصادر جديدة، وهذا الوزن أعني (التَّفعال) فإنّه مثل (التّفعّل) في قيمتهما العالية على التكثير، قال الشيخ جار الله الزمخشري في باب مصادر على وزن تفعال: ((والتفعال كالتهدار والتلعاب والترداد والتجوال والتقتال والتسيار، بمعنى الهدر واللعب والردّ والجولان والقتل والسير، مما بني لتكثير الفعل والمبالغة فيه)) [٦]، على إنّنا يجب أن نفهم أن كلّ الاشتقاق فيه تكثير على البنية الأولى بما يحقق وزناً جديداً وصيغة أخرى غير الأولى، قال أبو البقاء العكبري: ((إن الاشتقاق يراد لتكثير المعاني)) [٧]، ولا تتحقّق هذه المعاني الجديدة إلا بالاشتقاق وتبديل الصيغة وتخليق صيغ جديدة أخرى تحمل معانيها معها.

وقال ابن السراج في بابُ ما يكثرُ فيهِ المصدرُ مِنْ (فَعَلْتُ): ((وتلحقُ الزوائدَ وتَبنيهِ بناءً آخرَ علَى غيرِ ما يجبُ للفعلِ تقولُ: في الهَذْر التَّهدار، وفي اللَّعِبِ التَّلْعَابُ، والصَّفْقِ التَّصْفَاقُ والتَّرْدَادُ والتَّجْوَالُ والتَّقْتَالُ والتَّسْيَارُ فأَما: التِّبْيَانُ فلم تزدِ التاءُ للتكثيرِ ولو كَانَتْ لذلكَ لفتحت ولكنَّها زيدتْ لغيرِ علة وكذَلكَ التِّلْقَاءُ إنَّما يُريدُ:

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي ، (ت : ١٠٩٤ هـ) ، تح : عدنان درويش ، ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، د / ت : ١٠٠٣ .

(٢) إعراب القرآن : أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي ، أبو جعفر النَّحَّاس (ت : ٣٣٨ هـ) ، تح : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط / ١ ، ١٤٢١ هـ : ٣ / ٢٥١ .

(٣) كتاب سيبويه : ٤ / ٩٤ .

(٤) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

(٥) كتاب سيبويه : ٤ / ٨٤ .

(٦) المفصل في صنعة الإعراب : ٢٧٩ .

(٧) مسائل خلافية في النحو : عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، أبو البقاء العكبري (ت : ٦١٦ هـ) ، تح : محمد خير الحلواني ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ط / ١ ، ١٩٩٢ : ٧٥ .

اللُّقيَانَ)) [١]، والمطّلع على التراث العربي يجد أنّ هذا الوزن من الأوزان التي استعملت بكثرة في التكثير والمبالغة، وقال الرضي الاسترابادي: ((وقال الكوفيون: إن التَّفْعال أصله التَّفْعيل الذي يفيد التكثير، قلبت ياؤه ألفاً فأصل التكرار التَّكْرير)) [٢]، على أنّ سيبويه يصرح بأنّ التفعال مصدر لا غير قال: ((وليس في الكلام مفعالٌ ولا فعلالٌ ولا تفعالٌ إلا مصدراً، كما أنّ أفعالاً لا يكون إلا جماعاً. وذلك نحو: الترداد، والتقتال)) [٣]، ولعل نوع هذا المصدر قد جاء من تكثير بنية الكلمة الأولى فصارت بالزيادات بصيغة أخرى.

د.. صيغة (الفعيلي) يدلّ على التكثير

وقال ابن الحاجب:

وَنَحْو ترداد وحثيثى على إِفَادَة التكثير فِيمَا نقلا

يعني به أنّ وزن (الفعيلي) يدلّ من أصل بنائه على التكثير، قال عنه سيبويه: ((وأما الفعيلي فتجيء على وجهٍ آخر تقول: كان بينهم رميا، فليس يريد قوله: رميا، ولكنه يريد ما كان بينهم من الترامي وكثرة الرمي، ولا يكون الرميا واحداً. وكذلك الحجيزي. وأما الحثيثي فكثرة الحثّ كما أنّ الرميا كثرة الرمي، ولا يكون من واحد. وأما الدليلي فإنما يراد به كثرة علمه بالدلالة ورسوخه فيها. وكذلك القتيتي، والهجيري: كثرة الكلام والقول بالشيء. والخليفي: كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها)) [٤]، فهذا الوزن فيه دلالة على التكثير فكلّ مصاديقه التي ذكرها سيبويه فيها هذا المعنى واضحاً. ولهذا قال ابن الحاجب في هذه الأوزان: ((وَنَحْوُ التَّرْدَادِ والتَّجْوَالِ وَالْحِثِّيثَى والرِّمِّيّا لِلتَّكْثِيرِ)) [٥]، أي إنّها للتكثير دائماً.

٥. المثنى يدل على التكثير

المثنى هو: ((الاسم الدالّ على اثنين في زيادة [٦] في آخره صالحة [٧] للتجريد وعطف مثله عليه)) [٨]، ويعرف بتعريف آخر هو: ((ما دلّ على اثنين وأغنى عن المتعاطفين بزيادة ألفٍ ونون أو ياء ونون في آخره))[٩]، فالمثنى هو ما كان زائداً في المعنى عن الواحد. وهو ما تكاثر عن الواحد بمثله. ونعني بالمثنى هنا كلّ لفظ عبر عن المثنى والاثنين من غير النظر إلى زيادته التي هي قيد حويل الواحد إليه مع صلاح حذفها وردّه بنفسه إلى الإفراد من غير تغيير في البنية ؛ لأن المعنى الذي نريده أن يكون المثنى ما دلّ على التكثير ؛ لأنه أكثر من الواحد فهو لذلك تعبير يراد به الابتعاد عن الإفراد إلى الجمع والتكثير فأول الجمع ربّما يكون المثنى لأن التكثير بدأ به.

ومن المثنى ما يدلّ على الجمع ؛ لأنّ مجيئه لا على الاثنين فقط بل على الاثنين اثنين وهكذا. فهو جمع في الدلالة قال ابن مالك: ((وكذا المقصود به التكثير كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ** ﴾ [١٠] ؛ لأنّ

---

(١) الأصول في النحو : ٣ / ١٣٦ .

(٢) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ١ / ١٦٧ .

(٣) كتاب سيبويه : ٤ / ٢٥٧ .

(٤) كتاب سيبويه : ٤ / ٤١ .

(٥) الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري – المتوفى في القرن ١٢) : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت : ٦٤٦ هـ) ، تح : حسن أحمد العثمان ، المكتبة المكية ، مكة ، ط / ١ ، ١٩٩٥ : ٢ / ٢٧ .

(٦) قد يرد في بعض المصادر : بزيادة .

(٧) قد يرد في بعض المصادر : صالحاً .

(٨) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : ١ / ٣٢٣ . وينظر : الحدود في علم النحو : أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ ، شهاب الدين الأندلسي (ت : ٨٦٠ هـ) ، تح : نجاة حسن عبد الله نولي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد / ١١٢ ، السنة / ٣٣ ، ٢٠٠١ : ٤٥٩ .

(٩) شرح الآجرومية : د حسن بن محمد الحفظي : ٧٥ .

(١٠) الملك : من الآية : ٤ .

المراد به: ارجع البصر كرّات لقوله تعالى: ﴿ **يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ** ﴾ [١]. أي: مزدجرًا وهو كليل)) [٢]، فإنّ معنى (كرّتين) أن يحصل النظر مرتين. أي هناك تكرير في العمل لتكثير النظر أكثر من مرّة.

ومثله ما قيل في (لبيك وسعديك): قال سيبويه: ((ومثل ذلك: حَذارَيْكَ، كأَنَّه قال: لِيكنْ منك حَذَرٌ بعد حَذَرٍ، كما أنَّه أراد بقوله لَبَّيْك وسَعْدَيْك: إجابةً بعد إجابةٍ، كأنّه قال: كلَّما أَجبتُك في أمرٍ فأنا في (الأمر) الآخَر مجيبٌ، وكأَنّ هذه التثنية أشد توكيداً)) [٣]، فالمعنى أن التكثير هنا حصل بالتثنية التي هي تكرير الكلام مرّتين متتاليتين ولهذا قال المرادي: ((هذه التثنية عند الجمهور للتكثير لا تقع على الواحد)) [٤]، فهذا التكثير ملحوظ من قبيل التثنية في العمل والأداء والتي أوضحتها صيغة (لبيك وسعديك) وأمثالهما، التي ترد مثناةً في الشكل.

ومثل هذه الألفاظ دواليك، ففي قول الشاعر سحيم عبد بنى الحَسْحاسِ [٥]:

إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبردِ مثلهُ دواليكَ حتَّى ليسَ للبردِ لابسُ

قال سيبويه: ((أي مداوَلَتك، ومداوَلةً لك... ومعنى تثنية دَوالَيْكَ أَنَّه فِعْلٌ من اثنينِ، لأنّي إذا داولتُ فمن كلَّ واحدٍ منَّا فعل)) [٦]، وقال صاحب الإيضاح: ((أي: مداولة بعد مداولة، على دولتين ثنتين)) [٧]، يعني بهذا أنّ المداولة التي حصلت منه حصلت تباعاً مرّة بعد مرّة دلالة على التكثير، ويفصح النحويون المتأخرون عن معناها بالتثنية والتكثير فيها قال الشيخ خالد الأزهري : ((وهو مصادر مثناة لفظاً، ومعناها التكرار ؛ لأنهم لما قصدوا بها التكثير جعلوا التثنية علماً على ذلك ؛ لأنها أول تضعيف العدد وتكثيره)) [٨]، فبنيتها تدلّ على تكرارها وكأنّ اللسان تثني النطق بها.

٦. **الجموع: الجمع يدل على التكثير**

يعرف النحويون الجمع على أنّه اسم ناب عن ثلاثة فأكثر، بزيادة في آخره، مثل (كاتبين، وكاتبات)، أو بتغيير في بنائه، مثل (رجال، وكُتُب، وعُلَمَاء). وهو قسمان: سالم ومُكسّر. فالجمع السالم: ما سلم بناء مفرده عند الجمع، وإنما يُزاد في آخره واو ونون، أو ياءٌ ونون، مثل (عالمون، وعالمين)، أو ألفٌ وتاءٌ، مثل: (عالمات، وفاضلات). والسالم قسمان: جمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم [٩]، وعرّفه ابن الصائغ قال: ((الجمع هو: ضَمُّ الشّيء إلى أَكثرَ مِنْهُ)) [١٠]، وعرفه ابن الحاجب بقوله: ((المجموع: ما دل على آحاد مقصودة بحروف مفرده بتغيير ما))[١١]، فالجمع: واحدٌ أضيف إلى أكثر من واحدٍ. من دون المساس ببنية الأول بالنقص أو بالتغيير في مواقع الحروف بزيادة واو ونون في حالة الرفع وياء ونون في حالتي النصب والجرّ.وهذا العمل أعني الإضافة تكثير ودلالةٌ على أن النبية الجديدة تدلّ على التعدّد التكثير أكثر من اثنين. فدلالة الجمع على التكثير واضحة وقد ذكرها العلماء، قال أبو البقاء العكبري في الفرق بين التصغير والجمع: ((إن التصغير والجمع معنيان يحدثان

---

(١) الملك : من الآية : ٤ .

(٢) شرح الكافية الشافية : ١ / ١٨٦ .

(٣) كتاب سيبويه : ١ / ٣٤٩ – ٣٥٠ .

(٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك : ٢ / ٨٠٠ .

(٥) ينظر : ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : تح : عبد العزيز الميمني ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٥٠ : ١٦.

(٦) كتاب سيبويه : ١ / ٣٥٠ – ٣٥١ .

(٧) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ١٩٦ .

(٨) شرح التصريح على التوضيح : ١ / ٦٩٤ .

(٩) ينظر : الجموع في اللغة العربية : عبد الله محمد هنانو : ٣ .

(١٠) اللمحة في شرح الملحة : ١ / ١٩٣ .

(١١) شرح الرضي على الكافية : محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت : ٦٨٦ هـ) ، تصحيح وتعليق : د. يوسف حسن عمر ، مط / جامعة قاريونس ، ليبيا ، ط / ١ ، ١٩٧٨ : ٣ / ٣٦٥ .

في نفس المسمى، وهما التكثير والتحقير، فلذلك كانت علاماتهما في نفس الكلمة ؛ لأن التكثير معناه ضم اسم إلى اسم، وهو مساوٍ له في الدلالة على المعنى، فكان الدال على الكثرة داخلاً في الصيغة، كما أن إضافة أحدهما إلى الآخر داخل في المعنى)) [١]، فنخلص من قوله هذا أن الجمع إذ هو ضم اسم إلى اسم والتكثير كذلك دلّ الجمع على التكثير أيضاً. وقال الجوهري في ما نقله عن الأخفش أنّه قال: ((يقال جاءت إبِلُكَ أَبابيلَ، أي فِرقاً. وطيرٌ أبابيل. قال: وهذا يجئ في معنى التكثير، وهو من الَجمْع الذي لا واحد له)) [٢]، فـ(أبابيل) وزنها (أفاعيل) من جموع الكثرة وردت الكلمة في القرآن الكريم في قوله تعالى: وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ [٣] فقد جاء في بيانها: ((يعني: (زُمَرًا زُمَرًا)... قَالَ: (يَعْنِي الكَثِيرَةَ))) [٤]، وقال في موضع آخر: ((يعني: (هِيَ شَتَّى مُجْتَمِعَةً مُتَتَابِعَةً)))، وقال الأخفش: ((تقول: (جاءَتْ إبِلِي أبابِيل) أي: فِرَقاً. وهذا يجيء في معنى التكثير مثل (عَباديدِ)))[٥]، وكلّ هذه المعاني تدلّ على التكثير المرصود من قبيل فهم معنى لفظة (أبابيل) ومعرفة صيغتها التي تدلّ على التكثير والمبالغة.

ومن أنواع الجمع:

أ.. جمع التكثير أو جمع الكثرة تدلّ على التكثير

وازن السيهلي بين الوزنين: (فعالل)، و(فعيلل) فالأول صيغة جمع، والثاني وزن تصغير ليخلص إلى أنّ الياء للتصغير بمثابة التاء التي للتأنيث. وأن الألف بمثابة الفتح في اللفظ قال: ((وكانت (ياءً) ولم تكن ألفاً ؛ لأن الألف قد اختصت بجمع التكثير، وكانت به أولى كما كانت الفتحة التي هي أختها بذلك أولى ؛ لأن الفتح ينبئ عن الكثرة ويشار به إلى السعة، ولذلك تجد الأخرس والأعجم بطبعه إذا أخبر عن شيء كثير، فتح شفتيه، وباعد ما بين يديه)) [٦] وتعليله هذا – وإن كان تعليلاً شكلياً اجتماعياً – يقرّب معنى الصيغتين إلى الذهن وادراك معناهما من شكل اللفظة وبنائها. ثم يخلص إلى قيمة صرفية دلالية توضح سبب اختيار الواو في هذه الصيغة والألف في الأخرى: ((وأما (الواو) فلا معنى لها في التصغير لوجهين: أحدهما: دخولها في درب من الجموع، نحو: (الفعول)، فلم يكونوا ليجعلوها علامة في التصغير، فيلتبس التقليل بالتكثير. والثاني: أنه لا بد من كسر ما بعد علامة التصغير إذا لم يكن حرف إعراب. كما كسر ما بعد علامة التكثير في نحو: (مفاعل)، ليتقابل اللفظان كما تقابل المعنيان)) [٧]

ومن صور الجمع ما ذكره أبو علي الفارسي: ((حكى سيبويه أطيار، وحمله على أنه جمع طائر، مثل صاحبٍ وأصحاب، وشَاهِدٍ وأشهاد، وفَلْوٍ وأفلاء ؛ لأن فَلوًّا مثل فاعل في الزيادة والزنة، فإن قال قائل: هلا حمله على أنه جمع طَيْر ؟ قيل له: لا يكون عنده إلا جمع طائر، لأن طائراً زعم أنه جمع على طير مثل تَاجر وَتَجْر، وإذا كان مثل تَجْر ورَكْب لم يجز جمعه، ألا ترى أنه لم نجز ذلك في جمع الجمع ؟ ويمتنع جمع هذا

(١) مسائل خلافية في النحو : ١٠٠ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد ، أبو نصر الجوهري الفارابي (ت : ٣٩٣ هـ) ، تح : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / ٤ ، ١٩٨٧ : ١ / ١٦٤ .

(٣) الفيل : ٣ .

(٤) تفسير مجاهد : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي (ت : ١٠٤ هـ) ، تح : د. محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، مصر ، ط / ١ ، ١٩٨٩ : ٧٤٩ .

(٥) معاني القرآن : أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، المعروف بالأخفش الأوسط (ت : ٢١٥ هـ) ، تح : د. هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط / ١ ، ١٩٩٠ : ٢ / ٥٨٢ .

(٦) نتائج الفكر في النَّحو : ٧١ .

(٧) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

أيضاً من جهة القياس، لأن تَجْراً وبابه يراد به الكثرة، فحكمه إذا جمع أن يراد به التكثير، وأفْعَال لا يراد به الكثرة، بل خلافها، فإن قيل: فهلا جاز جمعه على أفْعَال كما جاز إبِلاَنٍ ؟ قيل له: هذا قليل لا يقاس عليه))[١]، فالتكثير في هذا الجمع ؛ لأنّ هناك جمعاً غيره، فإنّما جاءوا به لبيان التكثير في المعنى.

ب.. صيغ منتهى الجموع تدلّ على التكثير

هناك جموع تدلّ على التكثير من صيغها التي فيها نوع من التكثير والمبالغة، قال سيبويه: ((اعلم أنَّ من قال: أقاويل [في أقوالٍ] [٢]، وأباييت في أبياتٍ، وأنابيب في أنيابٍ، لا يقول: أقوالان ولا أبياتان [٣]. قلت: فلم ذلك ؟ قال: لأنكَّ لا تريد بقولك: هذه أنعامٌ وهذه أبياتٌ وهذه بيوتٌ ما تريد بقولك: هذا رجلٌ وأنت تريد هذا رجلٌ واحد، ولكنك تريد الجمع. وإنَّما قلت: أقاويل فبنيت هذا البناء حين أردت أن تكثَّر وتبالغ في ذلك)) [٤]، وقال ابن السراج في ما استنتجه من قول سيبويه المتقدّم: ((فهذا يدلك على أنّ جمع الجمع يجيء على نوعين: فنوع يراد به التكثير فقط ولا يراد به ضروب مختلفة، ونوع يراد به الضروب المختلفة وهو الذي لا يمتنع منه جمع)) [٥]

قال عَمْرو بن العدّاء الْكَلْبِيّ:

لأَصبحَ الحَيُّ أوْباداً ولم يجِدوا عِنْد التّفَرُّق فِي الْهَيْجَا جمَالَيْن

فقال صاحب الإيضاح في تخريج هذا بيت: ((الشاهد فيه قوله: (جمالين) ثنى الجميع الذي هو (جمال). وقد جاءت منه ألفاظ يسيرة قالوا: إبل وإبلان، ورماح ورماحان قال أبو النجم العجلي [٦]:

تَبَقَّلَتْ فِي أَوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحَيْ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

ووجه ذلك، أنّه أنزله منزلة القطيعين والنوعين والجنسين، وما أشبه ذلك، مما يصوّر لك معنى التثنية فيه؛ لأنّه لا يجوز تثنية المجموع غالباً ؛ لأنّه نقض الغرض ؛ لأن الجمع يفيد التكثير، والتثنية تفيد التقليل، فليس ذلك مثل جمع الجمع ؛ لأنّ من جمع الجمع فائدة التكثير والمبالغة)) [٧]، في هذا النصّ الدلالي المهم فوائد لغوية كثيرة من مثل:

١. العربي يحقّ له التعبير بالصورة التي يريدها، وبلحاظ القيمة الدلالية مقرونةً طبعاً بإيحاءات توصيلية مقرّبة للمعنى.
٢. اللغة مرنة في التعبير. وهي تملك حقيقة وجودها، وقوّة تأثيرها وحدها بما توفّره من صور تعبيرية حقيقية أو مجازية، أو تأثيرية الغرض منها إيصال المعنى للسامع.
٣. إنّ تثنية المجموع لا تعني عدم إمكان تحمل المثنى للتكثير. وإنما تعني هنا تقليل عن الجمع الذي هو أكثر من المثنى طبعاً.
٤. إنّ الجمع مفيد للتكثير فكيف جمع الجمع الذي يشكّل تكاثراً واضحاً لدلالته على الأكثر المتكاثر.

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ٤ / ١٥٣ .

(٢) زيادة لا بدّ منها .

(٣) مثنى : أقوال وأبيات .

(٤) كتاب سيبويه : ٣ / ٦٢٣ .

(٥) الأصول في النحو : ٣ / ٣٣ .

(٦) ديوان أبي النجم العجلي : صنعة علاء الدين أغا ، ط / ١ ، الرياض ، ١٩٨١ : ٦٩ .

(٧) إيضاح شواهد الإيضاح : ١ / ٢٨٨ .

وقال النحاس في وزن مفاعيل: ((المَراضِع جمع مرضع على جمع التكسير، ومن قال: مراضيع فهو جمع مرضاع ومفعال تكون للتكثير)) [1]، فهو جمع الجمع على وزن (مفاعيل) وهو من الأوزان الطويلة التي تدلّ على التكثير في المعنى.

ثالثاً: الأفعال

١. صيغة الفعل (فاعَلَ) تدلّ على التكثير

الأوزان في العربية كثيرة جداً ومن أوزان الفعل الرباعي (فاعَلَ) بفتح عين الفعل فإن التكثير من المعاني التي ذكرها النحويون له، قال ابن عقيل: ((ويجيء بناء فاعَلَ للدلالة على المفاعلة، نحو جاذَبْتُ عليه ثوبه، أو للدلالة على التكثير، نحو ضاعفت أجر المجتهد، وكاثرت إحساني عليه)) [2]، فدلالته هذه من طبيعة الفعل التي تدلّ على المكاثرة والمزايدة، وقد ذكر المبرد هذا الوزن قال: ((وَأما قَوْلنَا مَا يكون لاثْنَيْنِ نَحْو: شاتمت وضاربت لَا يكون هَذَا من وَاحِد وَلَكِن من اثْنَيْنِ فَصَاعِداً)) [3]، فلأنّ اللفظ في معناه دلالة الأكثر من واحد دلّ على التكثير.

٢. صيغة الفعل (فَعَّلَ) تدلّ على التكثير

قال سيبويه في باب دخول فعلت على فعلت، لا يشركه في ذلك أفعلت: ((تقول: كسَرتها وقطَعتها، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كسّرته وقطّعته ومزّقته)) [4]، ثم قال بعد ذلك موضحاً: ((اعلم أنّ التخفيف في هذا جائز كلّه عربي، إلا أنّ فعّلت إدخالها ههنا لتبيين الكثير. وقد يدخل في هذا التخفيف كما أنّ الركبة والجلسة قد يكون معناهما في الركوب والجلوس، ولكن بينوا بها هذا الضرب فصار بناء له خاصاً، كما أنّ هذا بناءٌ خاصٌّ للتكثير))[5]، وذكر ابن فارس في باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر قوله: ((أول ذلك فعَّلتُ يكون بمعنى التكثير. نحو: ﴿ **غَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ** ﴾ [6])) [7]، بمعنى أنّ التضعيف في الصيغة ولّد نوعاً جديداً من الصيغ المستحدثة على رأيٍ، أو هو من باب تكثير البنية الذي يؤتي بمعانٍ جديدة ليس إلا. فغلقت الباب سدّتها، أمّا غلّقت الباب سدّتها بقوةٍ وإحكام. ولعلي ألمح هنا معنى قد يكون له أثر طيّب في معنى غلّقت في الآية الكريمة أنّ (غلَقت) للباب الواحد و(غلّقت) للأبواب الكثيرة. وكأن المغلّقة هي التي سدّت أبواباً كثيرة. فعملها هذا استدعى تكثير بنية الصيغة لتلائم العمل الذي حصل منها.

ومثل ذلك على وزن (فَعَّلَ) ما قاله الرضي الاسترابادي: ((فَعَّلَ: لِلتَّكثِيرِ غَالِباً، نحو: غَلَّقْتُ، وقَطَّعْتُ، وجَوَّلْتُ وطَوَّقْتُ ومَوَّتَ المالَ)) [8]، ثم قال: ((واعلم أن (فَعَّلَ) يأتي لمعان: أحدها: أن يأتي للتكثير غالباً، إلا أنّه إن كان متعدياً كان التكثير في متعلقه أي: في مفعوله، نحو: غَلَّقْتُ الأبواب، وقَطَّعْتُ الأيدي)) [9]، أي بلحاظ مفعول الفعل. فإن كان مفعوله جمعاً قصد به المبالغة والتكثير.

---

(١) إعراب القرآن : ٣ / ١٥٧ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت : ٧٦٩ هـ) ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، القاهرة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٨٠ : ٤ / ٢٦٣ .

(٣) المقتضب : ٢ / ١٠٠ .

(٤) كتاب سيبويه : ٤ / ٦٤ .

(٥) كتاب سيبويه : ٤ / ٦٤ – ٦٥ .

(٦) يوسف : من الآية : ٢٣ ، من قوله : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ** ﴾ .

(٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ١٦٩ .

(٨) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ١ / ١٦٧ .

(٩) المصدر نفسه : الصفحة نفسها .

وذكر الرضي الاسترابادي مواقع التكثير، وهل هي تحصل في المتعدي فقط ؟ قال: ((ثم إنّ التكثير يكون في المتعدي كما في غَلَّق وقَطَّع، وقد يكون في اللازم كما في جَوَّل وَطَوَّفَ ومَوَّتَ)) (١)، ومثل ذلك حاصل للوزن (فَعَّلَ) من التضعيف الذي في بنيته قال الرضي: ((فَعَّلَ الذي للتكثير، نحو: جَرَّعْتُكَ الماءَ فَتَجَرَّعْتَهُ: أي كثَّرْتُ لك جَرْعَ الماء، فتقبَّلْت ذلك التكثير. وَفَوَّقْتُه اللَّبَنَ فَتَفَوَّقَهُ، وَحَسَّيْتُهُ الْمَرَقَ فَتَحَسَّاه: أي كثَّرتُ له فيقه)) (٢)، وذكر ابن عصفور أنَّ: (((فَعَّل) أكثرُ من (فَيعَلَ)، فيجبُ أن يُحمل (تَيَّهَ) على (فَعَّل) لذلك. وأيضًا فإنَّ (تَيَّه) للتكثير، فينبغي أن يكون على (فَعَّل) ؛ لأنَّ (فَعَّلَ) من الأبنية التي وضعتها العربُ للتكثير، نحو: قَطَّعَ وكَسَّرَ))(٣)، فالتكثير في (تيّه) معناه زيادة في التيه.

٣. صيغة (تَفَعّل) تدلّ على التكثير

ورد في أماكن من كتب النحو أنّ الداعي للتكثير هو تاء التفعّل وورد في أماكن أخرى أنّ الداعي للتكثير هو الصيغة ولم يحدّد التاء فيها حصراً فلعلّ الداعي للتكثير الصفتان معاً صفة زيادة الحرف أو صفة الصيغة. فلهذا قرّرت أن أخصّص لكلّ واحدٍ من هذه الصفات فقرةً خاصّة به.

أمّا ابن عصفور فقد قال: ((تَفَعَّلَ: تكون متعدّيةً وغير مُتعدّية... ولها ثمانية معانٍ... والسابع التكثير: كقولك: تَعطَّينا)) (٤)، أي تناولنا العطاء مرّة بعد أخرى. فدلالة تكثير الكلام على تكرير العطاء.

٤. نقل الفعل من صورة إلى أخرى لإفادة التكثير

ففي قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ**﴾(٥)، جاء الفعل (زَيَّلْ) والمعروف أنّ الزوال أو الإزالة من الفعل (زال يزول)، أو (أزال يزيل). وقد ورد في الآية بالفعل (زَيَّلْ) ولعل السبب في ذلك على ما ذكره الفرّاء هو المغايرة بالفعل لأجل التكثير قال: ((قوله: (فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ) ليست من زُلْت إنّما هي من زِلْتُ ذا من ذا: إذَا فرقت أنت ذا من ذا. وقال (فَزَيَّلْنا) لكثرة الفعل. ولو قَلَّ لقلت: زِلْ ذا من ذا كقولك: مِزْ ذا من ذا)) (٦)، وقال الطبري: ((ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به. من قولهم: (زِلْت الشيء أزيلُه)، إذا فرّقت بينه وبين غيره وأبنته منه. وقال: (فزيّلنا) إرادة تكثير الفعل وتكريره، ولم يقل: (فزِلْنا بينهم))) (٧)، فأنت تلحظ أنّ النصّ القرآني اختار فعلاً على فعل ؛ لإظهار هذا التكثير الذي يحمله الفعل الثاني عن الأول.

المبحث الثاني: أشياء أخرى تدل على التكثير

يمكننا أن نجمع أموراً كثيرة في دلالاتها التكثير من مثل:

أولاً: التضعيف يدل على التكثير

وقد ذكر صاحب الصحاح التكثير من أثر التضعيف قال: ((وصلَبه صَلْباً، وصلّبه أيضاً، شدّد للتكثير. قال تعالى: ﴿ **وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ** ﴾ (٨)) (١)، فالتصليب في الجذوع هنا فيها من المبالغة والتكثير حتى

---

(١) شرح شافية ابن الحاجب : الرضي الإستراباذي : ١ / ٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١ / ١٠٥ .

(٣) الممتع في التصريف : ١ / ٢٩١ .

(٤) الممتع في التصريف : ١ / ١٢٦ .

(٥) يونس : من الآية : ٢٨ .

(٦) معاني القرآن : الفرّاء : ١ / ٤٦٢ .

(٧) جامع البيان في تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠ هـ) ، تح : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط / ١ ، ٢٠٠٠ : ١٥ / ٧٨ .

(٨) طه : من الآية : ٧١ .

يصير الجسم ملتصقاً بالجذع غائراً فيه على ما ذكروا من معنى التشديد في (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ)، قال الرازي: (((ولأصلبنكم في جذوع النخل) فشبه تمكن المصلوب في الجذع كتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل)) [٢]، أي في الصلب هنا زيادة فعل حتى جاءت بحرف الجر (في) لتبيين هذا المعنى.

وقال أبو جعفر النحّاس: ((ويقال: حليت الدواة أحليها حلياً فحليت هي تحلى وحلّيتها على التكثير)) [٣]، والمعنى أنّي كثّرت لها الحلي. فالصيغة من باب فَعَلْت وفعَّلت، وقال أبو البقاء العكبري: ((إنّ مصدر (تكلّمت) التكلّم، وهو مشدّد العين، في الفعل والمصدر، والتشديد للتكثير وأدنى التكثير الجملة المفيدة، أما (كلمت) فمشدد أيضاً، وهو دليل الكثرة، ومصدره: التكليم. والتاء والياء فيه عوض عن التشديد)) [٤]، فالتكليم والتكلّم صيغتان كثرت فيهما حروف الزيادة لأجل إبراز المعنى الدالّ على تكرير التكلّم وإعادة الكلام مرّة بعد مرّة.

وفي الحوار الذي يجريه الرضي الاسترابادي بينه وبين ابن الحاجب. إذ يقول ((قال: وَفَعَّلَ لِلتَّكثِيرِ غَالِباً، نحو: غَلَّقْتُ وَقَطَّعْتُ وَجَوَّلْتُ وَطَوَّفْتُ وَمَوَّتَ الْمَالُ... أقول: الأغلب في فَعَّلَ أن يكون لتكثير فاعله أصلَ الفعل، كما أنّ الأكثر في أفعل النقل، تقول: ذَبَحْتُ الشاة، ولا تقول ذَبَّحتها، وأغلقت الباب مرة، ولا تقول: غَلَّقْت، لعدم تصوّر معنى التكثير في مثله، بل تقول: ذَبَّحْتُ الغنم، وغَلَّقْتُ الأبواب، وقولك: جَرَّحْتُه: أي أكثرت جراحاته، وأما جَرَحْتُه – بالتخفيف – فيحتمل التكثير وغيره)) [٥]، ثم استشهد بقول الفرزدق [٦]:

ما زِلْتُ أَفْتحُ أبْواباً وأُغْلِقُها... حَتَّى أَتَيْتُ أبَا عَمْرِو بْنِ عَمَّارِ

يعني: أُفَتِّحُها وأُغَلِّقُها على التكثير ؛ لأنّ ما بعدهما (الأبواب) وهي جمع فاحتاجت التكثير هنا. ولم يلمح هذا المعنى من اللفظ بل لمح من السياق. وقد خرج الأعلم الشنتمرى دخول أفعلت على فعلت – بتشديد العين – في إفادة التكثير، قال: ((مستشهداً به على جواز دخول (أَفْعَلْتُ) على (فَعَّلْتُ) فيما يراد به التكثير، فيقال: فَتَحْتُ الأبوابَ وأَغْلَقْتُها، والأكثر فَتَّحْتُ الأبوابَ وغَلَّقْتُها ؛ لأنَّ الأبوابَ جماعةٌ فيكثُرُ الفعلُ الواقعُ بها)) [٧]، وقد كثّر الفعل بالتضعيف ؛ لغرض إظهار الجمع الذي في الأسماء بعد الأفعال حتى يحصل على زيادة العمل ويبيّنه على أنّه كثير جداً.

ولعلنا نسأل أنفسنا ما الفارق بين اللفظ مضعّفاً واللفظ مخفّفاً ؟ وقد ورد عند العلماء ما يثبت أن المضعّف فيه قدرٌ من الزيادة في العمل استدعت التضعيف للتكثير: فالصبان يضع مثالين من القرآن الكريم يحاول إيجاد فارق في النصّين متشابهي الفعل أحدهما مضعّفٌ والآخرُ مخفّفٌ هما: قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم**﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ** ﴾ [٩] قال: ((قلت أريد في الآية الأولى إفادة التكثير، وإنما يؤتى

(١) تاج اللغة وصحاح العربية : ١ / ١٦٤ .

(٢) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت : ٦٠٦ هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط / ٣ ، ١٤٢٠ هـ : ٢٢ / ٧٦ .

(٣) عمدة الكتاب : أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي ، أبو جعفر النَّحَّاس (ت : ٣٣٨ هـ) ، تح : بسام عبد الوهاب الجابي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط / ١ ، ٢٠٠٤ : ١٢٨ .

(٤) مسائل خلافية في النحو : ٣٧ .

(٥) شرح شافية ابن الحاجب : ١ / ٩٢ ، وينظر : المفتاح في الصرف : عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، أبو بكر الجرجاني (ت : ٤٧١ هـ) ، تح : د. علي توفيق الحَمَد ، مؤسسة الرسالة ، عمان ، ط / ١ ، ١٩٨٧ : ٤٩ .

(٦) ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ : ٣٨٢ .

(٧) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب : يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشّنتمريّ (ت : ٤٧٦ هـ) ، حقّقه وعلّق عليه : د. زُهير عبد المحسن سلطان دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط / ١ ، ١٩٩٢ : ٥٤٥ . ويروى الشطر الأول : ما زِلْتُ أُغلِقُ أبواباً وأفتَحُها .

(٨) الأنعام : من الآية : ١٥٩ .

(٩) البقرة : من الآية : ٥٠ .

بالمخفف إذا لم ترد تلك الإفادة، وفي الثانية لما كان الماء جسماً لطيفاً شفافاً فهو كالمعاني أتى فيه بالمخفّف))[١]، فالتخفيف في اللفظ لائم المعنى الواحد. والتضعيف في اللفظ لائم المعنى المتكرر، الذي فيه تعدّد وتكثير.

وذكر الجوهري في صحاحه نوعاً من التشديد في اسم الإشارة قال: ((وربَّما قالوا: ذانِّكَ بالتشديد، وإنَّما شدَّدوا تأكيداً وتكثيراً للاسم، لأنّه بقى على حرف واحد، كما أدخلوا اللام على ذلك، وإنما يفعلون مثل هذا في الأسماء المبهمة لنقصانها)) [٢] ؛ لأنّ نقصان بنيتها يجعل الاسم على حرف واحد فأرادوا تكثيره لذلك. ولو سألنا أنفسنا ما الفرق في المعنى بين (قطّعت الأثواب)، و(قطّعت الثوب) ؟ و(قطّعت) في الاثنين نفسه. والفارق في إفراد كلمة (الثوب) وجمعها (الأثواب) فيجيبنا أبو البقاء الكفوي بكلام دلالي صحيح: ((التشديد في فعل يناسب التكثير في معناه، وفي ذلك نوع تأثير لا نفس الكلم في اختصاصها بالمعاني وقطّعت الأثواب لتكثير المفعول. وقطّعت الثوب لتكثير الفعل)) [٣]، فالمعنى بعد هذا قد اتضح من أن الدلالة في التكثير حاصلة لكليهما من أثر التضعيف. إلا أنّ هذا التكثير مرّة بالنظر للفعل. ومرّة بالنظر للمفعول.

ثانياً: صيغ العموم تدل على التكثير

من ذلك (كلا)، و(كل)، و(جمع)، و(جميع)، و(أجمع)، و(أجمعون)، و(أكتع)، و(عامة).

قال المبرد في الفرق بين (كلا) و(كل) في التعبير: ((أَقُول: جاءني أَخَوَاك كِلَاهُمَا ؛ لأُعْلم السَّامعَ أَنّه لم يَأْتِ وَاحِدٌ، وَكَذَلِكَ: جاءني إِخْوَتُك كلُّهم ؛ لأعْلم أَنّي لم أبقِ مِنْهُم وَاحِدًا، فَقيل لَهُ: فَقل: اخْتصم أَخَوَاك كِلَاهُمَا ؛ لِأَنَّهُ لَا يلتبس بِمَا بعد التَّثْنِيَة، فَذهب إِلَى أَن (كِلَاهُمَا) يكثر بِهِ، وَلَا يقلل بِهِ وَهَذَا قَول كثير من النَّحْوِيين)) [٤]، فهو يريد أن يقول إن (كل) هي التي تدلّ على التكثير وأنّ (كلا) تدلّ على الاثنين. وكأنّ الاثنين في حساباته ليسا تكثيراً في من يرى ذلك. على أنّ ناساً من العلماء رأوا أنّ الاثنين أقل الجمع حتى قالوا ((الاثنان وما فوقهما جماعة)) [٥]، وقيل أيضاً: ((أقل الجمع ثلاثة، وهو الصحيح عند النحاة، وقيل اثنان)) [٦]، فهو تكثير أيضاً.

قال أبو البقاء الكفوي: ((وقد تكون (كلّ) للتكثير والمبالغة دون الإحاطة وكمال التعميم كقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ** ﴾ [٧] ويقال: (فلان يقصد كلّ شيء، أو يعلم كلّ شيء)، وعليه قوله تعالى: ﴿ **وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ [٨]، ﴿ **وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ** ﴾ [٩] والمعنى: وكلّ نبأ نقصه عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك فلا يقتضي اللفظ قصّ أنباء جميع الرسل)) [١٠]، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ** ﴾ [١١]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ قال الطبري: ((يعني به: وأوتيت من كلّ

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : ١ / ٣٩ .

(٢) تاج اللغة وصحاح العربية : ٦ / ٢٥٥٠ .

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ١٠٠٤ .

(٤) المقتضب : ٣ / ٢٤٣ .

(٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٧٤٤ .

(٦) زينة العرائس من الطرف والنفائس : ١٩ .

(٧) يونس : من الآية : ٢٢ .

(٨) النمل : من الآية : ٢٣ .

(٩) هود : من الآية : ١٢٠ .

(١٠) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : ٧٤٤ .

(١١) إبراهيم : من الآية : ٣٤ .

شيء في زمانها شيئاً، وقد قيل: إنّ ذلك إنّما قيل على التكثير)) [١]، بمعنى أنّ (كلّ) قد تدلّ على الإحاطة والتمام وقد تدلّ على الكثير من الشيء المراد.

أمّا غير كلّ من التعابير الدالة على الجمع فلم يصرّح النحويون واللغويون بدلالتها على التكثير، إلا أنّ الاشتراك الواضح في الدلالة بينها وبين (كلّ) لا يقبل الشكّ، فيقرّبها من دلالتها وعملها ومعناها. فهي كلّها دالّة على التكثير لذلك.

ثالثاً: إعادة اللفظ تكثير

لو سأل سائل هل يجوز قولنا: جاء زيد وزيد على تكرير الاسم نفسه ؟ والجواب أنّ ذلك لا يجوز ؛ لأن الاسم الثاني هو نفسه الأول، ولا يفهم الكلام بإعادته. ولكنّ ذلك غير ممتنع. فلو تحدث بذلك عربي تقبّل منه وعلى النحاة عند ذلك تخريج ما قال. وقد أوضح ذلك الصبان في حاشيته قال: ((لا يقال جاء زيد وزيد مثلًا في غير ضرورة أو شذوذ إلا لنكتة كقصد تكثير نحو: أعطيتك مائة ومائة، وكفصل ظاهر نحو: جاء رجل طويل ورجل قصير، أو مقدر نحو قول الحجاج: إنا لله محمد ومحمد في يوم. أي محمد ابني ومحمد أخي)) [٢]، فقد كثّر المتكلّم الجملة بتكرار اللفظ لغاية التكثير على السامع حتى يشعره بالتفخيم والتهويل من أثر هذا التكثير. ولعلّ مثل هذا ما ذكره النحاس في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ** ﴾ [٣]، قال: ((هما على التكثير أي جاءتهم الرسل من كلّ مكان بشيء واحد)) [٤] أي إنّ تكريره (ومن خلفهم) بعد قوله (من بين أيديهم) يلحظ منه التكثير.

وقال ابن فارس في باب التكرار: ((وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[٥]، وهذا الباب خاص بالدلالة ؛ لأنّ التكرير هنا إعادة اللفظ في النصّ، ثمّ إنّ التكرير قد يكون باللفظ أو بالجملة أيضاً ذكر ذلك ابن فارس وهو يوضح قول القائل:

كم نعمة كانت لَهُ كَمْ كَمْ وَكَمْ كانت وكم

قال: ((فكرّر لفظ (كم) لفرط العناية بقصد تكثير العدد. قال علماؤنا: فعلى هذه السنة ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾ [٦])) [٧]، ويعني باستشهاده بالآية السابقة أنّ تكريرها في سورة الرحمن (٣١) مرّةً دليل على تكثير عدد ورودها في النصّ.

رابعاً: تكرير جزء اللفظ يدلّ على التكثير

جاء في الصحاح عند شرحه مادة (غدم): ((غذمت له من المال غَذْماً، مثل غَثَمْتُ. قال شقرانُ مولى سلامان من قضاعة :

ثِقَالُ الجِفَانِ والحُلُومِ رَحَاهُمُ رَحَى الماءِ يَكْتَالُون كَيْلاً غَذَمْذَمَا

يعني جزافاً. وتكريره يدلُّ على التكثير. والغَذْمُ: الأكلُ بجفاءٍ وشدَّةٍ)) [٨]، فقوله (غَذَمْذَما) جاء بالتكرير. وتكريره يدلُّ على التكثير في المعنى من باب أنّ الزيادة في الصيغة زيادة في المعنى. ومثله ما ذكره النحاس

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن : ١٧ / ١٤ .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : ١ / ١١٢ .

(٣) فصلت : من الآية : ١٤ .

(٤) إعراب القرآن : ٤ / ٣٨ .

(٥) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ١٥٨ .

(٦) وردت هذه الآية : ٣١ مرّةً في سورة الرحمن .

(٧) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها : ١٥٨ .

(٨) تاج اللغة وصحاح العربية : ٥ / ١٩٩٥ .

قال: ((وقال هذا يَوْمٌ عَصِيبٌ وعصبصب على التكثير أي مكروه مجتمع الشرّ)) [١]، فقد كرّر في (عصبصب) عين الفعل ولامه ؛ لتكثير اللفظ فيفيد التكثير في معناه.

خامساً: العدل يوجب التكثير

رأى المبرد أنّ العدل يفيد التكثير ربّما من باب ما يلحق الصيغة من زيادات قال: ((وتأويل العدل في هذا: أنه أراد واحداً واحداً، واثنين اثنين ألا تراه يقول: (أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع) [٢] والعدل يوجب التكثير)) [٣]، وأرى أنّ بعض العدل تنقيص وبعضه تكثير. فما جاء بالزيادة فهو تكثير.

ومعنى العَدْلِ ((أن يشتق من الاسم النكرة الشائع اسمٌ، ويغير بناؤه، إما لإزالة معنى إلى معنى وإما لأن يسمى به)) [٤]، فموضوع العدل هنا تغيير بسيط يصيب اللفظة غايته نقل لفظة إلى لفظة لتحديد معنى جديد له خصوصيته التي سوف يستمدها من بنائه الجديد وهو إما لإزالة معنى قديم إلى معنى جديد مستحدث. وإما لأن يسمى به: ((فأما الذي عُدل لإزالة معنى إلى معنى فمثنى وثلاث ورباع وأحادَ , فهذا عُدِلَ لفظه ومعناه , عُدِلَ عن معنى اثنين إلى معنى اثنين اثنين، وعن لفظ اثنين إلى لفظ مثنى، وكذلك أحاد عُدِلَ عن لفظ واحد إلى لفظ أحاد , وعن معنى واحد إلى معنى واحد واحد , وسيبويه يذكر أنه لم ينصرف)) [٥]، والسبب في ذلك لأنّه صفة جديدة عدلت عن اسم، قال ابن السراج في سبب ذلك: ((لأنّه معدول وأنّه صفةٌ، ولو قال قائلٌ: إنّه لم ينصرف لأنّه عُدل في اللفظ والمعنى جميعًا، وجعل ذلك لكان قولًا. فأما ما عُدل في حال لتعريف، فنحو عُمَرَ وزُفَرَ وقثم, عُدلنَ عن عامرٍ، وزافرٍ , وقائمٍ. أما قولهم: يا فسقُ فإنما أرادوا: يا فاسقُ، وقد ذكر في باب النداء، وسحرُ إذا أردت سحر ليلتك فهو معدول عن الألف واللام، فهو لا يصرف تقول: لقيتُهُ سَحَر يا هذا , فاجتمع فيه التعريف والعدل عن الألف واللام، فإن أردت سحرًا من الأسحار صرفته وإن ذكرته بالألف واللام أيضًا صرفته)) [٦]، وجميع ما يعدل به فإنّ الكثرة يجب أن تلوح في معناه، ففسق مثلاً كثير الفسق، وهكذا بقية الأسماء. وإن لم يلحظ هذا المعنى الجديد في الدلالة العامة ؛ إلا أنّ العدل وفّرها في الاسم الجديد الموصوف به.

وفي هذا المعنى نلحظ أن جمع أرض، جمع سنة (سنون): (أرضون). فإن قيل: فَلِمَ جاء هذا الجمع في قولهم في جمع أرض: (أرضون)، وفي جمع سنة (سنون) ؟ قيل: ((لأن الأصل في أرض: (أرضة) بدليل قولهم في التصغير: أُرَيْضَةَ، وكان القياس يقتضي أن تجمع بالألف والتاء، إلا أنّهم لما حذفوا التاء من أرض ؛ جمعوه بالواو والنون تعويضًا عن حذف التاء، وتخصيصًا له بشيء، لا يكون في سائر أخواته ؛ وكذلك الأصل في سنة: (سنوة) بدليل قولهم في الجمع: (سنوات)، و(سنهة) على قول بعضهم، إلا أنّهم لما حذفوا اللام، جمعوه بالواو والنون تعويضًا من حذف اللام، وتخصيصًا له بشيء لا يكون في الأمر التام، وهذا التعويض تعويض جوازٍ، لا تعويض وجوب ؛ لأنهم لا يقولون في جمع: شمس شمسون، ولا في جمع غد غدون فلهذا، لما كان هذا الجمع في أرض، وسنة، على خلاف الأصل، أدخل فيه ضرب من التكثير، ففتحت الراء من (أرضَون) وكسرت السين من (سنون) إشعارًا بأنّه جمع جمع السلامة على خلاف الأصل)) [٧]، فالنصّ يظهر أن علة هذه الزيادة

---

(١) إعراب القرآن : ٢ / ١٧٨ .

(٢) الكلام مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ [فاطر : ١]

(٣) المقتضب : ٣ / ٢٤٣ .

(٤) الأصول في النحو : ٢ / ٨٨ .

(٥) الأصول في النحو : ٢ / ٨٨ – ٨٩.

(٦) المصدر نفسه : ٢ / ٨٩ .

(٧) أسرار العربية : ٦٧ .

علّة تركيبية غرضها إظهار تبدّل الصيغة عما كانت عليه أولاً لتفيد معنى جديداً هو الجمع. فالجمع يفيد التكثير. والزيادة هنا في اللفظ من أجل الجمع أفادت التكثير في الصيغة لبلوغ هذا الغرض ألا وهو الجمع.

سادساً: التنوين الشاذ للتكثير

قال ابن هشام بعد عدّه أنواعاً من التنوين: ((وثامناً وَهُوَ التَّنْوِين الشاذ كَقَوْل بَعضهم: هَؤُلَاءٌ قَوْمك. حَكَاهُ أَبُو زيد وَفَائِدَته مُجَرّد تَكْثِير اللَّفْظ كَمَا قيل فِي ألف قبعثرى)) [1]، وعدّه الصبان كذلك قال: ((وتنوين الشذوذ حكى هؤلاءٌ قومُك بتنوين هؤلاء لتكثير اللفظ)) [2]. ولا يمكن أن يكون التكثير يصل إلى هذا الحدّ إلا أنّ النحويين قد بالغوا في التعليل في مرّات عديدة. ولكنّ المهم إنّنا نجد من يقول بهذا القول وله دليله وحجّته ومسوغاته التي يعتمد عليها في التخريج.

وقد يكون التكرير لعين الفعل فقط كما في الفعل (عدّ) فإنّه قد يصير (عدّدَ) كما في قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ** ﴾ [3]، فقيل في تخريج معناه: (((وعدّده) أي: أعدّه للدهر وقيل: أكثره ؛ لأنّ في تكثير عينه تكثير عدده، وقيل أحصاه مرّة بعد أخرى وحفظ عدده)) [4]، فقوله (في تكثير عينه تكثير عدده) دليل على أنّ هذا التكرير الذي حصل في عين الفعل فقط، فيه معنى التكثير.

الخاتمة

الحمد لله الذي أتمّ علينا رحمته وبركاته وجعل عملنا هذا تاماً إن شاء بحقّه وقدسه، وقد وصلت بالبحث إلى هذا المستوى لا أدعي الكمال فيه ولا تمامه. فربّما ندّ منّي الشيء الكثير مما يمكن أن يدخل في موضوعي البحث. وربّما دخل فيه ما ليس منه. فهذا جهل المقصّر على أية حال. وقد خرج البحث بأمور هي من ملخصات البحث أو من نتائجه من مثل:

لقد سار البحث في الكلام العربي على ما استطعت جرده وإحصاءه فكان التعبير العربي قوياً متيناً. استطاع بفضل ما مكّنته لغته وسليقته وامكاناته العظيمة في التعبير من أن يطوّع اللغة لصالحه في الانقياد في ما يريد. فانقادت له ما شاء فعبّر بصور من التعابير الرصينة التي رأيت أنّه كان إمّا بارعاً عظيماً فيها مبتكراً مبدعاً خلاقاً محسناً في التعبير والاختيار. أو هو مجيداً ما وفّرته له اللغة والبيئة والعناصر المتاحة في اللغة التي طبعت على البداهة والإبداع والتأنق والتألق. فالعربي ابن بيئته الحياتية وابن بيئته اللغوية وهو أحق بالمسير معها حيثُ شاءت مقدرته وحيثُ استطاعت همّته لا يبالي أخفق أو أصاب ؛ لأنّه مرن اللغة وتعارك معها أحياناً كثيرة، وتصارع مع مفرداتها ومعانيها أحياناً أخرى ؛ ليصل إلى هذا الحدّ من الإبداع والتأنق في التعبير.

من هذا نفهم أنّه استطاع أن يعبّر عن ما يريد إمّا باللفظ المتاح والمعروف عند الجميع أو بتطويع مفردات اللغة لتصوير ما يريد قوله وما يحبّ إبداءه من صور تعبيرية كامنة في نفسه. فاستطاع بما أمكنه من مفردات وبما طوّعه من آليات أن يجعل لغته مطواعاً له ولما يريد إبداءه من كلام وصور وأخيلة ومعاني. الأمر الذي جعله في بعض المرات أن يخلق صوراً من التعبير، أو يوظف آلية لهذا الغرض. ومن هذه الآليات إبداعه أسلوب تكثير اللفظة، أو تكثير الكلام بما يوفّر له إمكانية الإبداء والإبداع.

---

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب : ١ / ٤٤٩ .

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك : ١ / ٥٠ .

(٣) الهمزة : ٢ .

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل : محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم برهان الدين الكرماني ، ويعرف بتاج القراء (ت : نحو ٥٠٥ هـ) ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، جدة ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ط / ١ ، د / ت : ٢ / ١٣٨٧ .

فقد وفّر بهذا الأسلوب أو بهذا العمل كثيراً من صور التكثير قاربت في بحثنا هذا على ما استطعت إحصاءه الأربعة عشر موضعاً من غير الصور الفرعية التي وصلت إلى الأربعة عشر صورةً أيضاً.

وقد تنوّعت هذه الصور في التكثير بين تكثير بنية الكلمة كما في التضعيف، والجموع، وصيغ أخرى مثل صيغة فعّل وتفعّل وفاعَلَ وتفاعل وأمثالها. أو في تكري جزء اللفظ أو زيادة حرف فيه.

وتنوعت أيضاً في حروفٍ بعينها مثل: ربّ، وقد. أو في دلالة بعض الأسماء والتعابير على التكثير مثل: الظرف غير المحدّد، أو كم أو كأيّن وغير ذلك.

وقد رأيت وأنا في البحث أنّ المواضيع تتكاثر عليّ تباعاً بما لا أستطيع جمعها في أبواب محدّدة. وأراني وأنا في الخاتمة بالشعور والحيرة نفسهما. بما يجعلني في يقين أنّ هناك مواضع أخرى قد فاتتني في هذا البحث. وأشير إلى مسألة مهمة أن الجانب الدلالي قد يحتمل التكثير في غير ما ذكرت يمكن أن يلحظ من سياق الجمل لم أهملها إلا لأنّ البحث كان قد توسع بما لا يكفي فيه للجانب الدلالي إلا في بحث خاص به. جعلنا الله والباحثين من المهتمين به في قابل الأيام إن شاء برحمته وبركاته هو أهل المنّ والفضل سبحانه على ما أنعم. والحمد لله أولاً وآخراً وصلاته الدائمة على خير خلقه محمّد النبي الأمين وعلى آله الأطياب وصحبه الأحباب.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أسرار العربية: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط / ١، ١٩٩٩.

إسفار الفصيح: محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (ت: ٤٣٣ هـ)، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط / ١، ١٤٢٠هـ.

الأصول في النحو: محمد بن السري بن سهل، أبو بكر النحوي المعروف بابن السراج (ت: ٣١٦ هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

إعراب القرآن: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، أبو جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨ هـ)، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٤٢١ هـ.

ألفية ابن مالك: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت: ٦٧٢ هـ)، دار التعاون، بيروت د / ت.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧ هـ)، المكتبة العصرية، ط / ١، ٢٠٠٣.

إيضاح شواهد الإيضاح: الحسن بن عبد الله، أبو علي القيسي (ت: ق ٦ هـ)، تح: د. محمد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط / ١، ١٩٨٧.

تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد، أبو نصر الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣ هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط / ٤، ١٩٨٧.

تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب: يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشّنتمريّ (ت: ٤٧٦ هـ)، حقّقه وعلّق عليه: د. زُهير عبد المحسن سلطان دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط / ١، ١٩٩٢.

تفسير مجاهد: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي (ت: ١٠٤ هـ)، تح: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط / ١، ١٩٨٩.

تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن، أبو منصور الأزهري الهروي (ت: ٣٧٠ هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط / ١، ٢٠٠١.

توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩ هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط / ١، ٢٠٠٨.

جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط / ١، ٢٠٠٠.

الجموع في اللغة العربية: عبد الله محمد هنانو.

الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ أبو محمد بدر الدين المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩ هـ)، تح: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٢.

حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك: محمد بن علي الصبان، أبو العرفان الشافعي (ت: ١٢٠٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٧.

الحدود في علم النحو: أحمد بن محمد بن محمد البجائي الأُبَّذيّ، شهاب الدين الأندلسي (ت: ٨٦٠ هـ)، تح: نجاة حسن عبد الله نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد / ١١٢، السنة / ٣٣، ٢٠٠١.

الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف بن عبد، المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦ هـ)، تح: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط / ١، د / ت.

ديوان أبي طالب: صنعة أبي هفان العبدي، تصحيح وتعليق: محمد صادق آل بحر العلوم، النجف، ١٣٥٦ هـ .

ديوان أبي النجم العجلي: صنعة علاء الدين أغا، ط / ١، الرياض، ١٩٨١.

ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت، د / ت.

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: تح: عبد العزيز الميمني، الدار القومية، القاهرة، ١٩٥٠.

ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ.

ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

زينة العرائس من الطرف والنفائس في تخريج الفروع الفقهية على القواعد النحوية: يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد الحنبلي (ت: ٩٠٩ هـ).

سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، تح: أحمد رشدي شحاته، وعامر محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ٢٠٠٠.

الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيساري – المتوفى في القرن ١٢): عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت: ٦٤٦ هـ)، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة، ط / ١، ١٩٩٥.

شذا العرف في فن الصرف: أحمد بن محمد الحملاوي (ت: ١٣٥١ هـ)، تح: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض، ط / ١، د / ت.

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩ هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٨٠.

شرح الآجرومية: د حسن بن محمد الحفظي.

شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن نور الدين الأشموني الشافعي (ت: ٩٠٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٨.

شرح التصريح على التوضيح: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري (ت: ٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ٢٠٠٠.

شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: عبد الرحمن البرقوقي، القاهرة، ١٩٢٩.

شرح الرضي على الكافية: محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي (ت: ٦٨٦ هـ)، تصحيح وتعليق: د.: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، ليبيا، ط / ١، ١٩٧٨.

شرح شافية ابن الحاجب، مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب (ت: ١٠٩٣ هـ)، محمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، نجم الدين (ت: ٦٨٦ هـ)، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ)، تح: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.

شرح الكافية الشافية: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله (ت: ٦٧٢ هـ)، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط / ١.

الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء، أبو الحسين القزويني الرازي (ت: ٣٩٥ هـ)، تح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٧.

عمدة الكتاب: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، أبو جعفر النَّحَّاس (ت: ٣٣٨ هـ)، تح: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت، ط / ١، ٢٠٠٤.

العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

غرائب التفسير وعجائب التأويل: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (ت: نحو ٥٠٥ هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط / ١، د/ ت.

كتاب سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط / ٣، ١٩٨٨.

كتاب الصناعتين: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، أبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥ هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. ١٤١٩ هـ .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط / ٣، ١٤٠٧ هـ.

الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى أبو البقاء الكفوي، (ت: ١٠٩٤ هـ)، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د / ت.

اللامات: عبد الرحمن بن إسحاق، أبو القاسم البغدادي النهاوندي الزجاجي (ت: ٣٣٧ هـ)، تح: مازن المبارك، دار الفكر، دمشق، ط / ٢، ١٩٨٥.

اللباب في علل البناء والإعراب: عبد الله بن الحسين بن عبد الله، أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط / ١، ١٩٩٥.

اللمحة في شرح الملحة: محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله شمس الدين المعروف بابن الصائغ (ت: ٧٢٠ هـ)، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط / ١، ٢٠٠٤.

مجالس العلماء: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي، أبو القاسم الزجاجي (ت: ٣٣٧ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط / ٢، ١٩٨٣.

مسائل خلافية في النحو: عبد الله بن الحسين بن عبد الله، أبو البقاء العكبري (ت: ٦١٦ هـ)، تح: محمد خير الحلواني، دار الشرق العربي، بيروت، ط / ١، ١٩٩٢.

مشارق الأنوار على صحاح الآثار: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، أبو الفضل اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤ هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث

معاني القرآن: أبو الحسن سعيد بن مسعدة، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥ هـ)، تح: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط / ١، ١٩٩٠.

معاني القرآن: يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧ هـ) تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية، مصر، ط / ١.

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد جمال الدين ابن هشام (ت: ٧٦١ هـ)، تح: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط / ٦، ١٩٨٥.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط / ٣، ١٤٢٠ هـ.

المفتاح في الصرف: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أبو بكر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)، تح: د. علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، عمان، ط / ١، ١٩٨٧.

المفصل في صنعة الإعراب: محمود بن عمرو بن أحمد، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)، تح: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط / ١، ١٩٩٣.

المقتضب: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (ت: ٢٨٥ هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

الممتع في التصريف: علي بن مؤمن بن محمد، أبو الحسن الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (ت: ٦٦٩ هـ)، مكتبة لبنان، ط / ١، ١٩٩٦.

المنصف شرح كتاب التصريف للمازني: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ)، دار إحياء التراث القديم، ط / ١، ١٩٥٤.

نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، أبو القاسم السهيلي (ت: ٥٨١ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط / ١، ١٩٩٢.

همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.